رسم المصحف

بين التحرز والتحرر

د. زيد عمر مصطفى



الحمد لله الذي يسر كتابه فقال : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾[1] والصلاة والسلام على رسول الله ، الذي بلَّغ ما أنـزل إليه من ربه ، ورضوان الله تعالى على صحابة رسوله الكرام الذين حملوا الرسالة بصدق وأمانة ، وبعد .

رسم المصحف وما يقال بشأنه ، قضية قديمة حديثة ، تعاقبت عليها دراسات شرعية ، ولغوية ، وتاريخية ، وتربوية ، واستحوذت على نصيب وافر من اهتمامات المجامع الفقهية واللغوية في حدود إمكاناتها .

وترددت في هذا المقام أسئلة محددة ، حتى باتت معروفة مألوفة لدى أهل الشأن ، لِمَ يختلف المصحف في كتابة بعض الكلمات عن الإملاء الحديث ؟

هل هو تميز - من الشارع - مقصود ؟ فينبغي التسليم له ، أو هو خطأ من الكتّاب مردود ؟ يحتاج إلى إعادة النظر فيه .

إن كانت الأولى ، فما الحكمة من هذا الاختلاف ؟ وإن كانت الثانية ، فهل تجوز إعادة كتابته في ضوء قواعد الإملاء الحديثة ؟ .



أسئلة كثيرة، والإجابات أكثر، إن جاز أن نطلق عليها هذا الوصف، إنها وجهات نظر صدر كل منها عن معتقد سابق، فمنهم من تحرز للرسم وأغلق الباب تجنباً للمحظورات، ومنهم من تحرر منه لمسوغات، ثم تصيد كل فريق الأدلة فيما بعد، ولكن علامات الاستفهام ما زالت قائمة.

وليس في دراسات السابقين على أهميتها وكثرتها ما يجيب - فيما أعلم - عن كل هذه الأسئلة؛ لأنها دراسات عنيت بتوجيه ظواهر الرسم الموجودة في المصحف [٢].

ودراسات المتأخرين لم تختلف كثيراً عن سابقتها [٣]، فقد كررت ما قيل في أغلب أحوالها. وحيث إن كثيراً من نتائج هذه الكتابات لا تركن النفس إليها، ولا يعتمد عليها فإن الحاجة ما زالت قائمة إلى مزيد من الدراسات، لعلها تأتي ببعض الإجابات، وهي دعوة إلى أهل الشأن الفضلاء.

وآمل أن تكون هذه الدراسة لبنة تضاف إلى جهود المتقدمين الذين حازوا فضل السبق. وكلا وعد الله الحسنى.

والله الموفق.

نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ مقروءًا لا مكتوبا، ويستفاد من الآثار الواردة بهذا الشأن أن جبريل كان ينزل بالقرآن حسب الحاجة، خمس آيات، وعشر آيات، وربما أقل وأكثر، فقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة، وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة، وصح نزول غير أولى الضرر وحدها، وهي بضع آية [٤].

وقد جعل بعض العلماء من حكم نزوله مفرقا أنه كان ينزل مقروءًا لا مكتوبا، بخلاف التوراة مثلاً، التي نزلت جملة واحدة، مكتوبة.

يشير إلى هذا قوله تعالى في شأن التوراة ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [٥] وقوله تعالى ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[٦].

كان النبي ﷺ إذا تلقى الآيات حفظها، ودعا أحد كتاب الوحي، سواء في مكة أم في المدينة وأملى عليه ما نزل، يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه وهو أشهر كتَّاب الوحي (كنت جار رسول الله فكان إذا نزل الوحي أرسل إلي فكتبت الوحي)[٧].

وقد حدَّث البراء بن عازب فقال (لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله، قال النبي ﷺ ادع لي زيداً وليجئ باللوح والدواة والكتف)[٨].

فكان النبي ﷺ يأمر كتاب الوحي بكتابة ما ينزل من القرآن الكريم، دونما تدخل في كيفية الرسم، كما يفهم من الأحاديث المتقدمة، التي تضمنت مطلق الأمر بالكتابة فقط.



وبغض النظر عن كونه أميًّا[٩]، لا علم لـه بـرسم الكلمات فإنـه ﷺ تـرك الكُتَّاب وشأنهم، في كتابة القرآن حسب ما تعارفـوا عليه من قواعد كتابية آنذاك حتى أتموا كتابته كـاملا في عهده ﷺ وتحت إشرافه، حيث كـان ينصب توجيهه لهم على تحديد مـوضع الآيات فيقول (ضعوا هـؤلاء الآيات في السورة التي يـذكر فيها كذا وكذا، أو ضعوا آية كذا في موضع كذا)[١٠].

وقد أعيدت كتـابة القرآن الكريم في خـلافة أبي بكر الصـديق رضي الله عنه، حين جمع في صحف خشية ضياع شيء منه، بموت بعض الحفاظ من الصحابة الكرام، في حروب الردة، وفي غيرهـا.

فقد كلَّف أبو بكر لجنة للقيام بهذه المهمـة، على رأسها زيد بن ثابت، الذي قال لـه ولعمر رضي الله عنهم (اقعـدا على باب المسجـد فمن جاءكما بشـاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه)[١١].

ولم يتضمن أمر أبي بكر غير مطلق الكتابة، فليس فيه أية إشارة إلى كيفية رسم الكلمات، وإنما اكتفى بقوله اكتباه، أي في ضوء مـا يتعارف عليه الناس، وهذا هو المألوف في كل أمر بالكتابة من شخص إلى آخر، إذ العرف له اعتبار.

ولما اتسعت الفتـوحات الإسـلامية ظهـرت بوادر خـلاف بين المسلمين حول قراءة القـرآن، فرأى عثمان بن عفان بـاقتراح من حذيفة بن اليمان، ومبـاركة من الصحابة الكرام أن ينسخ الصحف التي كتبت في خـلافة أبي بكر ويرسل بنسخ منها إلى الأمصـار، ليرجع إليها ويعتمد عليهـا، وقد انتدب أربعـة مؤهلين لهذا الأمر الجليل، وعلى رأسهم زيد بن ثابت صاحب الباع الطويل في هذا المجال.

جاء في حـديـث أورده البخـاري (فأرسل عثمان إلى حفصـة أن أرسلي إلينـا بالصحف ننسخهـا في المصاحف ثم نردهـا إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان

فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القُرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم»(١٢).

وقد اختلفوا يومئذ في كيفية كتابة **التابوت**، فقال زيد التابوه بالهاء، وقال القرشيون بالتابوت بالتاء، فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش (١٣).

تضمنت الآثار التي تحدثت عن كتابة المصحف في عهد عثمان إشارة إلى طرف من الرسم، فقد وجه عثمان اللجنة إلى الاحتكام إلى لغة قريش، وقد اختلفوا في كتابة كلمة **التابوت**، وفي كلمات أخرى يسيرة بيد أنها إشارات تتصل بالقراءة - إذ إنها سنة متبعة - أكثر من صلتها بالرسم، وإن قيل إن الأصل مطابقة الرسم للفظ (١٤)؛ لأن اللفظ أسبق، ويحمل الخط عليه، لكنا لا نملك أن نقول إن الاختلاف تطرق إلى رسم الكلمات، من حيث هو رسم وإملاء؛ لأن الآثار لا تنطلق بهذا.

تلقى المسلمون آنذاك القرآن الكريم بالقبول، وكان أن انعقد إجماعهم على نصه ورسمه (١٥)، وكان فيهم اثنا عشر ألف صحابي، أما انعقاد إجماعهم على نصه فأمر ظاهر لا نزاع فيه؛ لأنه النص عَيْنَه الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله الكريم ﷺ دونما زيادة أو نقصان، وذلك مصداق قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١٦).

وأما إجماعهم على رسمه وتلقيهم له بالقبول، فلأنه كتب على ما ألفوه من قواعد في كتاباتهم بعامة، ولهذا لم يروا في رسمه ما يوحي بخروج عن المعتاد عندهم، وعن المألوف في كتابتهم.

فهذا ابن قتيبة المتوفى سنة (٢٦٧هـ) يتردد في مخالفة ما اعتاد عليه الناس، في كتابة بعض الكلمات، مثل الصلاة، والزكاة، والحياة، حيث كانت تكتب بالواوا [الصلوٰة، الحيوٰة] فيقول (ولولا اعتياد الناس لذلك في الأحرف الثلاثة، وما في مخالفة جماعتهم لكان أحب الأشياء إلى أن يكتب هذا كله بالألف) (١٧). مما يعني أن كتابتها بالواو، كانت مألوفة وقت نزول القرآن وبعده، وسنرى أنها كانت كذلك قبل نزول القرآن.

استمر الأمر على هذا حينا من الدهر، إلى أن دعت الحاجة إلى إعادة النظر في طريقة رسم بعض الكلمات، بسبب اتخاذ اللغة العربية لغة العلم والتدوين، عند عامة المسلمين، مما دعا إلى العمل على ضبط طرائق الرسم تسهيلا على الناس، بخاصة أن بعض الكلمات كانت تكتب على أكثر من هيئة (١٨) وهو ما كان شائعا في قواعد الهجاء آنذاك.

أعيد النظر في رسم كثير من الكلمات في ضوء ما بدا لعلماء الرسم والعربية من قواعد تعارفوا عليها، منها أن الأصل في الكتابة مطابقة الخط للفظ، بتقدير الابتداء به، والوقف عليه.

وبانتشار استعمال القواعد التي وضعها العلماء للكتابة ظهر ما يسمى بقواعد الهجاء أو الإملاء، أو علم الخط القياسي، ويسمى أيضا الاصطلاحي، وهجر الناس تدريجيا الصور القديمة للرسم والإملاء، بيد أن نساخ المصاحف وعلماء هذا الشأن لم يلتفتوا إلى هذه القواعد المستحدثة، وظلوا يحافظون على الرسم كما ورد في المصاحف العثمانية، حتى في عامة كتاباتهم، بخاصة أن عامة هذه القواعد مأخوذ من رسم المصحف، إلا في بعض المواطن التي طرأ عليها تغيير.

ورأينا في كل فريق من يتشدد فيما يعتقد، ويُخطِّئ غيره. وخير مثال على هذا

اختـلافهم في كتـابـة كلمـة إذن، حيث قـال المبرد لا تجوز أن تكتب إذن إلا بالنـون، وقال إني لأشتهي أن أقطع يد من يكتبهـا بألف، فرد عليه أبـو عبد الله الجهني بقوله : وقـوله مردود غير مأخوذ به، بل يجب قطع يد من يكتبهـا بالنون في المصحف لمخالفة السواد[١٩].

لأنها وردت في المصحف بـالألـف كما في قـولـه تعـالى ﴿وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾[٢٠] لقد أدت هذه التـوجهات إلى تعدد طرائق الكتـابة[٢١]، فقد صار الاصطلاح في الكتـابة على ثـلاثة أنحـاء اصطلاح العـروض، واصطلاح كتـابة المصحف، واصطـلاح الكتـاب، في غير هذين. ويفهم من هـذا التقسيم أنـه استقر في الأذهان أن لرسم المصحف وضعا خاصاً[٢٢]، فلا يقاس هجاؤه، ولا يخالف خطـه، ولكنـه يتلقى بالقبول على مـا أودع في المصحف، وأطلق عليـه اصطلاح الرسم التوقيفي، تجنبا لإخضاعه إلى قواعد الرسم القياسي، التي صار الاحتكام إليها، والاعتماد عليها.

وكاد أن يتسالم أهل الشأن على ما ارتضوه مـن تقسيم، وينتهي الأمر عند هذا الحد، لولا أن أثيرت قضية كتابة القرآن الكـريم بالرسم المستحدث، أو ما عرف بالـرسم القياسي، حين تحدث بعض العلماء عن جـواز كتابة المصحف بـالرسم الحديث، لمسوغات يرونها، ومنع هذا آخرون لأدلـة بدت لهم.

تعددت آراء العلمـاء في هـذه القضيـة، ويمكننـا أن نجملهـا في المذاهب التالية :

١) ذهب جمهور الأمـة إلى وجوب الالتزام بالرسم المصحفـي، وعدم العدول عنه إلى غيره، لقناعتهـم بأن ما قام به الصحـابة الكرام كان صوابـا لا يستدعي استدراكـا عليهم، قال البيهقي[٢٣] (من كتب مصحفـاً فينبغي أن يحافظ على

حـروف الهجاء التي كتبـوا بها تلك المصـاحف، ولا يخالفهم فيها، ولا يغير ممـا كتبوه شيئا، فإنهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلبـا ولسانا، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم).

٢) ذهب فريق إلى جواز كتابة المصحف بالرسم الحديث، وربما أوجب ذلك إذا دعت المصلحة، على ما سيأتي بيانه.

٣) وذهب فريق آخـر إلى التوفيق بين المذهبين المتقدمين، فقال بجـواز كتابته بالـرسم الحديث، للحاجة كتعليم الصغار، ومنهم من أجـاز ذلك فيما ليس له صلة بالقراءات.

ونظرا لأهمية هذا الموضـوع، ولتعلقه بأقدس نص عرفتـه البشرية، فقد سعى كل فريق إلى إيراد ما بدا له من أدلة لدعم موقفه.

سلك الفريـق الأول طرائق متعددة في الاستـدلال على ما ذهب إليـه، فمنهم من احتج بأن رسم المصحف تـوقيفي [٢٤] وليس للصحـابة فيـه أدنى اجتهـاد فالطاعن فيه طاعن فيما هو صادر عن الرسول ﷺ.

(**وأغرب** بعضهـم عندمـا ادعى أن الخط كله توقيفي لقـوله [٢٥] ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ وقال تعالى[٢٦] ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ وإذا كان كذا فليس ببعيد أن يوقف آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب) [٢٧].

ويروى في هذا المقام [٢٨] أن أول من كتب الكتاب العـربي والسرياني والكتب كلهـا آدم عليه السـلام قبل موتـه بثلاثمائة سنـة، كتبها في الطين وطبخـه، فلما أصـاب الأرض الغرق، وجـد كل قـوم كتابـا فكتبـوه، فأصاب إسماعيل عليـه السلام الكتاب العربي، وهذا الرأي الـذي يشبه الأسطورة يتنافى مع واقع الكتابة بعامـة، من حيث تطورها والاختـلاف فيها، ويحتـاج مثل هذا إلى خبر صحيح

وليس ثَـمَّ، ولا يشفع لأصحابه أن قالوا [٢٩] إن هذه العلـوم درست مع الأيام، وقلّت في أيدي الناس، فجددها العلماء فيما بعد، ونفضوا غبار الزمن عنها.

وتنبغي الإشارة إلى أن القول بالتوقيف، وبوجود توجيه نبوي بهذا الشأن، لـم يكن محل اتفاق القائلين بوجوب الالتزام بالرسم المصحفي، رغم أهميته في دعم قولهم، وأثره في صد كثير مما يثار حول كتاب الوحي [٣٠] (إذ إن القول بالتوقيف يبدو أنـه قد ظهـر في وقت متأخر، وإن من قـال من العلماء المتقدمين بـوجوب الالتزام برسم المصحف لم يكن يقصد إلى شيء مما فهمه وقال به المتأخرون بشأن التوقيف).

يرى هـذا الفريق أن الـرسـول ﷺ كان يـوجـه كتبـة الـوحي إلى كيفيـة رسم الكلمات، بأمر رباني، ودليلهم ما ورد من أنه ﷺ وجه معاوية أحد كتبة الوحي - على الصحيح - إلى كيفيـة الكتـابـة حين قـال لـه (الق الـدواة وحـرف القلم وانصب الباء، وفـرق السين، ولا تعور الميم، وحسن الله، ومد الـرحمان، وجود الرحيم، وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك) [٣١].

ولا يسلم لهم هـذا الاستدلال لا من حيث الـدليل، ولا من حيث المدلـول، فإن الحديث الذي ذكروه لا يصح عنه ﷺ [٣٢]، ولو تنزلنا مـع هؤلاء ونظرنا إلى مدلـوله فإنـه لا يتضمن أية إشـارة إلى الرسم والإمـلاء وإنما يشير إلى أمور تتعلق بالخط وتحسينه، ويقوي هذا التوجيه القول بأنه ﷺ ظل على أميته إذ إن الأمي لا يحسن تعليم قواعد الكتابة.

ويغني مـا ذكـرنـاه عـن تكلف بعضهم في رده الاستـدلال بهذا الحديث حين قال [٣٣] (الحديث الذي روي أنه قـاله عليه السلام لمعاوية ليس في كتـابة الوحي إذ من المعروف أن معـاوية ليس من كتبة الـوحي، ولم يعرف أنـه كتب آية للنبي

ﷺ من القـرآن، وإنما هو ممن كتب للنبي ﷺ غير القـرآن، فقول النبي لمعـاوية إنما هو في غير كتابة القرآن).

واحتج هـذا الفريق أيضـا بأن مجيء بعض رسـومـه مخالفـا للقيـاس العـربي المشهـور دل على أنـه تـوقيفي، مثل كتـابـة رحمت ونعمت وسنت بـالتـاء دون الهاء(٣٤)، فلو كان الـرسم العثماني غير توقيفي، بأن كتبه الصحـابة على ما تيسر لهم كما زعمـه البعض لزم أن يكـون سبحـانه وتعـالى أنزل هـذه الكلمات رحمت وأخواتها بالهاء، ثم كتبها الصحابة لجهلهم بالخط يومئذ بالتاء.

وينبغي على هذا أن تكون الأمة إلى وقتنا هـذا قد تابعت الصحابة على الخطأ، حين أبدلـت حرفا بحرف، وهذا يتنـافى مع وعـد الله تعالى بحفظـه، وإذا كان ذلك كذلك كان خبره تعالى كاذبا، وكذب خبره تعالى باطل، فبطل ما أدى إليه وهو كـون رسم هذه الكلمات ونظـائرها بـلا توقيف نبوي، وإذا بطـل هذا ثبت نقيضه وهو كون الرسم العثماني توقيفياً

وفي هذا الاستـدلال نظر، إذ أقر أصحابـه بوجود مخالفـة، فبنوا حكمهم على قياس مقلـوب حين جعلوا الـرسم الحديث المتأخـر، أصلا قـاسوا عليه الـرسم المصحفي المتقدم، فحكموا عليه بالمخالفة، على مذهب من يجعل أحكامه بأثر رجعي، وليس الأمر كذلك.

ثم إنـا ذكرنا سابقا بأن القرآن نزل مقروءًا لا مكتوباً فينتفي بهذا المحظورَ الذي ذكروه، فلو نزلـت الكلمات التي أوردوها مكتوبة بالهاء، وكتبها الصحـابة بالتاء لسلم لهم قـولهم، ولكنها نـزلت مقـروءةً وقرئت بـالتـاء لوصلهـا، فكتبت على الوصل، لا على الخط، على ما سيأتي بيانه في موضعه.

وقد سعى هـذا الفريـق لإيجاد مسوغـات لمخالفة الـرسم المصحفي للـرسم الحديث في بعض المواضع - يـردون بها طعن الخصم، فقـالـوا إن ثمـة أسراراً وحكما تكمن خلف هذه المخالفة التي قصدها الرسول ﷺ وأمر بها.



قال الضباع : (ويشهد لكونه من إملائه ﷺ ما ذكره الإبريز عن شيخه . . عبد العزيز الدباغ أنه قال : رسم القرآن من أسرار المشاهدة وكمال الرفعة، وهو صادر من النبي ﷺ، وليس للصحابة ولا لغيرهم في رسم المصحف ولا شعرة واحدة، وإنما هو بتوقيف من النبي ﷺ، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة، بزيادة الألف ونقصانها، ونحو ذلك لأسرار لا تهتدي إليها العقول إلا بفتح رباني، وهو سر من الأسرار التي خص الله بها كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، فكما أن نظم القرآن معجز، فرسمه معجز أيضا)[٣٥] وهو كلام إلى العاطفة أقرب منه إلى العلم، ولا يستند إلى دليل.

اجتهد بعض العلماء في الكشف عن هذه الأسرار التي تصوروا وجودها، واعتقدوا أنها كامنة في بعض ظواهر الرسم، وقد ذكروا في هذا المقام كلاما طويلا[٣٦] حسبنا أن نورد منه ما يفي بالغرض.

تحدثوا عن سر حذف الواو من بعض الأفعال، وكان حقها أن تثبت إذ لا مسوغ لحذفها، فقالوا (إنها سقطت من أربعة أفعال تنبيها على سرعة وقوع الفعل، وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود أولها ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[٣٧] فيه سرعة الفعل، وإجابة الزبانية، وقوة البطش، وثانيها ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾[٣٨]، حذفت منه علامة على سرعة الحق، وقبول الباطل له بسرعة بدليل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[٣٩].

وثالثها : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ ﴾[٤٠]، حذف الواو يدل على أنه سهل عليه، ويسارع فيه، كما يعمل في الخير، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير.

رابعها : ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ (٤١) حذف الواو لسرعة الدعاء، وسرعة الإجابة (٤٢).

وأشاروا إلى حذف الياء فقالوا إنها تحذف لسر، وهو تعلق المعنى بأمر ملكوتي، فقد حذفت في قوله تعالى ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ (٤٣) وعلم هذا المسؤول غيب ملكوتي، بدليل قوله تعالى ما ليس لك به علم، في حين أثبت الياء في قوله تعالى ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ (٤٤) كان هذا سؤال عن حوادث الملك في مقام الشاهد كخرق السفينة، وقتل الغلام وإقامة الجدار (٤٥).

وتحدثوا عن زيادة الألف في لا أذبحنه (٤٦) فقالوا إنها إشارة إلى عدم وقوع الذبح، فكأنها تتضمن معنى النفي (٤٧).

إن طرافة هذا الموضوع، والجدية التي تبدو في عرضه لم تَقْوَ على إخفاء ما يلحظ من تكلف في تلمس أسرار زيادة بعض الحروف، ونقصانها، بخاصة أنهم حرصوا على إبرازها في كل موضع جاء متميزا عن الرسم القياسي، فكثر في كلامهم التكلف والتناقض أحيانا، ولم يسلم لهم تفسير.

فقد ورد على تفسيرهم لحذف الواو إثباتها في قوله تعالى ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ (٤٨) فهل يعني إثباتها تأخر المحو وعدم القدرة في إزالته سريعا.

كما يرد على تعليلهم لحذف الياء أنها حذفت في مواضع لا يلمح فيها شيء مما ذكروه كما في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ (٤٩) وقوله تعالى ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِ ﴾ (٥٠)، ولا تسكن النفس إلى التفسيرات التي ساقها صاحب البرهان (٥١) في هذا المقام حين ادعى أن الخطاب في الآية الأخيرة وأمثالها خاص بالرسول ﷺ الذي شهد الخطاب والعباد عنه غائبون.

يضاف إلى هذا أن هناك خلافا في رسم بعض الكلمات، فقد اختلفوا في زيادة الألف في ﴿لا أوضعوا﴾ (٥٢) كما اختلفوا في زيادة الياء في اللائي (٥٣).

فكيف تثبت والحالة هذه دعوى أن الصحابة أرادوا إبراز هذه المعاني والأسرار برسمهم المصحف على هذه الهيئة، مخالفين بذلك قواعد الرسم، رغم أننا نعتقد بأنه ((٥٤) لم يدر في خلد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم شيء من تلك المعاني، التي يعلل بها رسم الكلمات في المصحف في صورة فلسفية باطنية.

فقد كانوا مشغولين بمعاني القرآن الناصعة وآياته المحكمة عن تلك المعاني الفلسفية الباطنية الغامضة، البعيدة عن روح الوضوح واليسر والتي يحتاج فهمها إلى لون معين من ألوان الثقافة، ولم يكن الهدف الأول لتسجيل النص القرآني سوى تمثيل ألفاظ التلاوة التي من خلالها لا من خلال الرسم تتجلى معاني القرآن العظيم، دون أن يكون للكتابة أي دور في تحديد المعنى).

وبغض النظر عما في هذا المنهج من تكلف، فإن الأساس الذي قام عليه في دراسة ظواهر الرسم غير المستقيم، وإذا انتقض الأساس انتقض سائر ما بني عليه. وقد حمل ابن خلدون (٥٥) على أصحاب هذا الاتجاه، وحذر من الالتفات إلى كلامهم ووصفهم بالمغفلين.

وقد تجنب بعض من ذهب إلى أن لهذا الرسم حكماً وأسراراً، الولوجَ في باب التفسيرات والتعليلات، ربما لعدم قناعته بما قيل فيه، فاكتفى بعضهم بالقول إن رسم المصحف جاء على هذه الهيئة لأسرار لا تهتدي إليها العقول (٥٦).

في حين ذهب بعضهم (٥٧) إلى أن الصحابة الكرام كانوا يعلمون هذه الأسرار، وكانت ماثلة أمامهم، وقت كتابتهم للقرآن، لكنها ذهبت بموتهم، وليس من سبيل إلى معرفة هذه الأسرار إلا إذا خرج الصحابة من قبورهم وأخبرونا بها.



وليس حظ هذا التوجه من الاعتراض بأقل من حظ سابقه، فإن كان التكلف الظاهر في تلمس الحكم محل اعتراض، فإن الإقرار بوجودها مع إسدال الستار عليها بهذه الحجج أدعى لاعتراض أشد، وهو كلام لا تسكن النفس إليه، ويتعذر الاعتماد عليه.

واستدل آخرون [٥٨] ممن يرون وجوب الالتزام بالرسم العثماني، بإقرار الرسول ﷺ للصحابة في كتابتهم، حيث كانوا يكتبون بين يديه، ولم ينقل أنه اعترض على شيء مما كتبوا، فدل إقراره على سلامة فعلهم؛ لأن إقراره تشريع فوجب الالتزام به.

وقد سبقت الإشارة إلى منهجه ﷺ في تعامله مع كتبة الوحي، حين ذكرنا أنه ﷺ تركهم وشأنهم يكتبون في ضوء ما كانوا يعلمون، وعلى هدي مما كانوا يألفون آنذاك، فلا يستقيم والحالة هذه الادعاء بأن الرسول ﷺ اطلع على كتابة الصحابة، وقومها، ثم أقرها، بتفاصيلها، وهيئتها التي وصلتنا.

ويتقوى ما ذكرناه إذا أخذنا بعين الاعتبار كثرة كتّاب الوحي الذين تجاوز عددهم الأربعين، وتفرقهم بين مكة والمدينة، وكتابتهم لكثير من الكلمات على أكثر من هيئة، مما يستبعد معه وجود المظلة الشرعية.

واستدلوا أيضا ببعض الأحاديث المتضمنة ثناءً على الصحابة الكرام، وترغيبا في الاقتداء بهم، بخاصة الخلفاء الراشدون منهم، كقوله ﷺ **(عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)** [٥٩] وبقوله ﷺ **(أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)** [٦٠] (ففي هذه الأخبار دلالة واضحة على طلب الاقتداء بالصحابة فيما فعلوه، ومما فعلوه مرسوم المصاحف) [٦١].

وهذا توجيه حسن لولا أن يقال بأنه لا تلازم بين مكانة الصحابة السامية وبين وجوب اتباعهم في رسم المصحف، بخاصة إذا ذهبنا إلى ما ذهب إليه ابن خلدون من أن الكتابة من جملة الصنائع ؟

ومنهم من استند إلى سد الذرائع، فقالوا إن فتح الباب أمام الاجتهادات في القرآن كإعادة النظر في رسمه، قد يصيِّر كتاب الله ألعوبة بأيدي الناس كلما عنت فكرة الإنسان في كتابته اقترح تطبيقها (٦٢).

ولا شك أن سد الذرائع أصل معتبر في هذا المقام، ينبغي الالتفات إليه، لكن هذا المسلك قد ينطوي على الاعتراف بوجود خطأ في الرسم، حال دون إعادة النظر فيه العمل بسد الذرائع، وهذا سيؤدي إلى الاعتماد على الأصل نفسه - وهو العمل بسد الذرائع - في الدعوة إلى كتابته بالرسم الحديث تجنبا للحن فيه من قبل الناشئة والعامة، وهي وجهة نظر معتبرة بإزاء الأولى.

واستدلوا كذلك بالإجماع، فقالوا إن إجماع الصحابة الكرام انعقد على رسم المصحف في عهد عثمان، وكانوا أكثر من اثني عشر ألف صحابي (٦٣). ولم يعرف لهم مخالف ممن تبعهم بإحسان، فاستمرار الإجماع قائماً.

إن إجماع الصحابة فَمَنْ بَعْدَهم كان قائماً - وما يزال - على سلامة النص القرآني من أي نقص، أو تغيير، أو خلل في ترتيب (٦٤) (أمّا رسم المصحف فحيث تشير كل الدلائل إلى أن ما جاء فيه هو واقع كتابي تميزت به الكتابة العربية في تلك الفترة) فلا يقال والحالة هذه إن كتبة الوحي تعمدوا كتابة المصحف على غير المعهود عندهم، وأن الصحابة الكرام رأوا في رسم المصحف تميزا عن غيره من الكتابات في عصرهم، ومع هذا انعقد إجماعهم عليه.

إن ما يسميه هذا الفريق إجماعاً من الصحابة على رسم مخصوص إنما هو عدم اعتراض على شيء مألوف عندهم.

وكأن الإمام مالكا أدرك عدم وجود إجماع، فها هو وقد نقل عنه وجوب الالتزام بالرسم المصحفي، يرخص في كتابته بالرسم الإملائي الحديث، للصغار؛ فلو كان ثمة إجماع مقصود، لما جاز لمالك ولا لغيره من العلماء الخروج عليه.

وتكلف بعضهم، فادعى أن تمييز الكلام يقتضي تمييز الرسم (٦٥) فكما أن القرآن متفرد بنظمه وأسلوبه ومصدره عن سائر كلام البشر، فيجب أن يكون متفردا في رسمه عما سواه من الكلام، ولا حظ لهذا الرأي من النظر، فقد ذكرنا أن القرآن نزل مقروءا، واكتفى الرسول ﷺ بالأمر بكتابته دون أي تدخل منه، ولم يثبت أن كتابات العرب قبل الإسلام و إبان نزوله كانت تختلف عن كتابة الصحابة للمصحف، فبطلت بذلك دعوى التميز.

وقد ربط بعضهم بين الرسم والقراءات، فادعى أن الصحابة الكرام رسموا المصحف على هذه الهيئة ليدل على أكثر من قراءة (٦٦)ومثلوا لذلك بكلمة مالك، حيث كتبت **ملك** بدون ألف لتحتمل قراءة مالك وقراءة ملك وهما قراءتان متواترتان (٦٧).

و إن صدقت هذه الدعوى على بعض القراءات فإنها لا تصدق على أكثرها لاعتبارات كثيرة، أهمها أن كثيرا مما كتب على هيئة مخصوصة، لا صلة له بالقراءات مثل كلمة الليل التي كتبت بلام واحدة، وكحذف الياء في قوله ﴿**فما تغن النذر**﴾ (٦٨)وغير هذا كثير.

والتحقيق أن الصحابة الكرام إنما كتبوا القرآن بالقراءة المشهورة العامة في

المدينة، ولـم يقصدوا قط كتابته على هيئـة تحتمل القراءات المختلفة، ولو فرضنا أنهم تعمـدوا ذلك لما تيسر لهم بحـال، وأنى لهم ذلك والقـراءات كثيرة جـدًّا، مبناها على النطق، والمشافهة، وليس على الرسم والكتابة.

إن المتأمل فيما صدر عن أصحاب هذا الـرأي بشتى اتجاهاتهم وطرائقهم يرى أنهم يصدرون جميعـا عن معتقد واحد، مفاده أن مـا قام به الصحابـة الكرام في مجال رسم المصحف كـان صـوابـا لا استـدراك عليه؛ لما تـوافـرت فيهم من مؤهلات، لـم تدع مجالا لإعادة النظر في صنيعهم.

ولما لم يتمكنوا من تعليل معتقدهم هـذا بطريقة علمية مقنعـة، اضطروا أمام الاتجاه الآخر إلى تلمس أدلة، لإثبـات أن مـا قام بـه الصحـابة الكـرام في رسم المصحف كان أمـرا شرعيا، إما بتـوقيف من الشارع الحكيم، وإما بإقـرار منه، وإما بإجماع منهم، وإجماعهم حجة.

وهذه الطـريقـة المثلى في رأيهم، لصد كل من يحاول أن يُخَطِّئَ الصحـابـة، أو يجيز تغيير رسم المصحف.

ونحن لا ننكـر أن هذا التـوجه محمـود في ذاتـه، ولكن ضعف أدلته، وعـدم كفايتها على الإقناع، قد تروج للرأي الآخر الذي سنعرض له فيما يأتي.

ذهبت طـائفـة من العلماء إلى أن الالتـزام بـالـرسم المصحفي غير واجب، وتعددت طرائق استدلالاتهم على معتقداتهم.

يرى بعض هؤلاء أن الصحـابة الكـرام اجتهدوا في كتـابة القـرآن الكريم، في ضوء مـا توافرت لـديهم من معلومات عن الكتـابة، وفي حدود قـدراتهم في هذا المجال [٦٩]، وقد كان عامة الصحـابة أميين لا يكتب منهم إلا الواحد والاثنان كونهم من أمة لـم تكن أهل قراءة ولا كتابة [٧٠] وأغرب بعضهم فقال إن الكتابة

كانت معدومة عند العرب، فإن وجد بينهم كاتب فهو نزيل هبط، أو عائد من سفر بعد طول غياب.

وليس الحال كما وصف هؤلاء، فإنا لا ندعي أن العرب كلهم كانوا يقرأون ويكتبون، ولكننا نرفض في ضوء الآثار الكثيرة - أن تكون الكتابة نادرة في العرب، بله معدومة.

لقد عرف العرب في الجاهلية كتابات كثيرة ومراسلات (٧١)، وبلغ كتّاب الوحي كما ذكرنا أربعين كاتباً، والأصل أن هؤلاء كانوا يعرفون الكتابة قبل الإسلام، أو على الأقل عدد منهم، وقد ذكر البلاذري (٧٢)أنه لما دخل الإسلام كان في مكة سبعة عشر رجلا كلهم يكتب، وفي المدينة مثلهم تقريبا.

يمكننا في ضوء ما نميل إليه أن نرفض معتقد ابن قتيبة، ومن وافقه، في أمية العرب كما يرونها، وبالتالي عدم التسليم بالنتيجة المترتبة عليه.

وللسبب نفسه نتحفظ على ما ذهب إليه ابن كثير (٧٣)حيث يرى أن الكتابة لم تحكم جيداً ذلك الزمان، فوقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات، من حيث صناعة الكتابة، لا من حيث المعنى.

ويعيد ابن خلدون (٧٤)هذا القصور - كما يسمونه - إلى أن الكتابة من جملة الصنائع، والعرب لم يكونوا ذا باع في هذا الفن، إذ يقول (كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية في الإحكام، والإتقان، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش، وبعدهم عن الصنائع، وانظر ما وقع من أجل ذلك في رسمهم المصحف، حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثيرُ من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها.

وفي ضوء هـذا التصور سلك أصحـاب هذا الـرأي أسهل الطرق عليهم، في تفسير بعض ظواهر الرسم المصحفي، فحكمـوا بخطأ الكتَّاب، فهذا ابن قتيبة يجعل خطأ الكتَّاب أحد الاحتمالات التي توجه بها قـراءة هذان، بالألف في قوله تعالى ﴿إن هذان لساحران﴾ (٧٥) وفي كتابة الصـابئين بالواو في قولـه تعالى ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون﴾ (٧٦) ويقول (إن كانت خطأ في الكتاب، فليس على الله ولا على رسـوله جنـاية الكاتب في الخـط، ولـو كـان هـذا عيباً يـرجع على القـرآن لـرجع عليـه كل خطأ وقع في كتـابـة المصحف، من طـريق التهجي) (٧٧). وكان قد وصف من يكتب من الصحـابة بأنه لم يتقن ولم يصب التهجي (٧٨).

ويكاد يجنح الفراء، إلى مـا جنح إليه ابن قتيبة، حين يقـول في اختلاف رسم الصحابة (إنهم لا يكـادون يستمرون في الكتاب على وجه واحـدة، ألا ترى أنهم كتبوا (فما تغن النذر) بغير ياء، (وما تغني الآيـات والنذر) بالياء، وهذا من سوء هجاء الأولين) (٧٩).

وقد تابع المتقدمين عدد من البـاحثين المتأخرين منهم الأستاذ إبراهيم حمروش الذي يـرى أن الصحابـة كتبوا المصحـف في حدود إمكـاناتهم، فجـاء مخالفا في رسمه لما قـرره علماء الرسم في عـدة مواضـع (٨٠). وتابعهم عبـد الوهاب حمودة ففسر ظواهر رسم المصحف بخطأ كتَّاب الوحي (٨١).

ومما شجع هؤلاء على تخطئة كتاب الوحي ورود أخبار، تدل بظاهرها على وقوع الخطأ منهم، فقـد روي أن عروة بن الـزبير سأل عائشة رضي الله عنهـا عن لحن القرآن في قوله تعالى ﴿إن هذان لساحران﴾ وعن قوله ﴿والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾ (٨٢) وعن قوله تعالى ﴿إن الذين آمنوا والذيـن هادوا والصابئون﴾ (٨٣) فقالت يابن أختي هذا عمل الكتَّاب، أخطأوا في الكتاب) (٨٤).



وورد أنه لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان، فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال (لا تغيروها فإن العرب ستغيرها بألسنتها) (٨٥)، لا مستند في هذه الروايات لمن اتكأ عليها في إثبات وقوع الخطأ من الصحابة في الرسم، لا من حيث سندها، ولا من حيث متنها، أمّا سندها فهو منقطع (٨٦) لأن عكرمة وابن يعمر لم يسمعا من عثمان ولا رأياه، وفي الإسناد تخليط أيضا، وأمّا متنها فعلى فرض صحته فإن مضمونه يدل على أنها خارج محل النزاع.

فليس في كتابة هذان، والصابئون، والمقيمين أي خطأ إملائي، فهي صحيحة من حيث الكتابة، ولكن الاعتراض متوجه إلى مجيء الأولى والثانية بالرفع، وموضعهما النصب، ومجيء الثالثة بالنصب وحقها الرفع، وبهذا يبطل الاستدلال بها في هذا المقام، ويبقى دور علماء القراءات والنحو لتوجيهها الوجهة السليمة، لبيان موافقتها لأحد الوجوه الإعرابية وقد فعلوا، وليس هذا محل التفصيل في ذلك (٨٧).

أمّا الخبر الوارد عن عثمان رضي الله عنه والذي يشير إلى أن في القرآن لحناً فينبغي النظر إليه في ضوء معنى كلمة اللحن وقت ورود الخبر (٨٨) فالذي يبدو أن استعمال اللحن بمعنى الخطأ في الإعراب لم يكن شائعا في الفترة التي ترجع إليها هذه الرواية.

ويرجع بعض المحققين (٨٩) أن هذا الاستعمال نشأ مع بداية وضع القواعد اللغوية بخاصة بعدما فشا الخطأ في اللغة بسبب دخول غير العرب في الإسلام.

وقد تتبع المستشرق يوهان تطور معنى مادة (ل ح ن) ومشتقاتها عبر النصوص المختلفة، وبين أن إطلاق لفظ اللحن على الخطأ اللغوي كان من نتائج قيام حركة تنقية اللغة العربية في أواخر القرن الأول للهجرة (٩٠).

لقد أوردت معاجم اللغـة عدة معانٍ لكلمة لحن، منها الفطنة، والتعريض، والخطأ، واللغـة [٩١]، ويبدو أن المعنى الأخير «اللغـة» هو المناسب لمضمون الخبر الذي نحن بصدده، ويؤيد هـذا ورود المعنى نفسه في حديث حذيفة [٩٢] أن الرسول ﷺ قـال (اقرءوا القرآن بلحون العـرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر) أي لغتهم وطريقة قراءتهـم.

وإذا حمل الخبر الوارد عن عثمان على هـذا المعنى، كان مقصـوده أن في القرآن من أوجه اللغة، وطـرائق القراءة ما ستظهره العـرب على ألسنتها، في ضوء رسم القرآن، وتلاوته التي هي سنة متبعة [٩٣] لأن فيه من الكلمات ما لو تلي على حال رسمـه لانقلب معنى التـلاوة وتغيرت ألفـاظهـا من مثل (أو لا أذبحنـــه) ومـا شابهها.

وللسيوطي «يرحمه الله» تعقيب جيـد على هذه الأخبار، حيث يقول [٩٤] (هذه الآثار مشكلة جدا فكيف يظن بالصحـابة أولاً أنهم يلحنون في الكلام فضلا عن القرآن، وهم الفصحـاء اللد، ثم كيف يظن بهم ثـانيا في القرآن الـذي تلقوه من النبي، كما أنزل وحفظـوه، وضبطوه وأتقنوه، ثم كيف يظن بهم ثـالثا اجتماعهم كلهم على الخطأ، وكتابته، ثم كيف يظن بهم رابعاً عدم تنبههم ورجوعهم عنه، ثم كيف يظن بعثمـــان أنه ينهى عـن تغييره، ثم كيف يظن أن القراءة استمـرت على مقتضى ذلك الخطأ، وهو يروى بالتواتـر خلفا عن سلف، هذا مما يستحيل عقلا، وشرعا، وعادة).

والخلاصة أن حمل تفرد المصحف ببعض ظـواهر الرسم على الخطأ في الكتـابة رأي لا حظ لـه من الصحـة، وخصوصا أنه مبني على القيـاس المقلوب، الذي يحاكم رسم المصحف إلى قـواعد وضعت بعـده بعشرات السنين، بعضها ليس محل اتفاق بين أهل الشأن أنفسهم.

ونرى أبا بكر الباقلاني يسلك مسلكاً آخر، في الاستدلال على عدم وجوب اتباع الرسم المصحفي، عندما تجنب الإشارة إلى تخطئة كتَّاب الوحي، فهو يرى أنه لم يرد نص شرعي يلزم بهيئة معينة في الكتابة، وإنما ترك الناس يكتبون بالهيئات التي تعارفوا عليها كون الخط وسيلة، والوسائل الموصلة للغرض يجب الأخذ بها.

وقد عرض الشيخ الزرقاني رأي الباقلاني بتلخيص جيد فقال (أما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة شيئاً، إذ لم يأخذ على كتَّاب القرآن وخطاط المصاحف رسماً بعينه، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع، وليس في نصوص الكتاب، ولا مفهومه أن رسم القرآن لا يجوز إلا على وجه مخصوص، ولا في السنة ما يوجب ذلك ولا في إجماع الأمة، ولا دلت عليه القياسات الشرعية، بل دلت السنة على جواز كتابته بأي وجه سهل؛ لأن الرسول ﷺ كان يأمر برسمه، ولم يبين لهم وجهاً معيناً.

ولذلك اختلفت خطوط المصاحف، فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج للفظ، ومنهم من كان يزيد، وينقص، لعلمه بأن ذلك اصطلاح، وأن الناس لا يخفى عليهم الحال، ولهذا جاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثة، وجاز أن يكتب بين ذلك.

والسبب في ذلك أن الخطوط إنما هي علامات، ورسوم، تجري مجرى الإشارات، والعقود، والرموز، فكل رسم دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته، وتصويب الكاتب به، على أي صورة كانت.

وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه وأنَّى له ذلك (٩٥).

إن المتأمل في رأي الباقلاني يجد أنه أصاب في مواطن، منها تـأكيده على عدم وجود نص شرعي، يلـزم بهيئة معينـة في الرسم، ويؤكـد هذا أن الأربعـة الذين كلفهم عثمان بنسخ المصاحف اختلفوا في كتابـة كلمة التابوت، أتكتب بالهاء أم بالتاء، وكذلك كلمـة يتسنه أتكتب بالهاء أم بدونها (٩٦). فلو كان ثمة نص لما ساغ مثل هذا الاختـلاف، ولاحتج زيد بن ثابت أحد هؤلاء الأربعـة وهو كاتب رسول الله ﷺ بهذا النص.

كما وفق الباقـلاني إلى حد بعيـد في تعليل ظاهـرة تعدد الـرسم، حين ذكر أن الصحابة كـانوا يكتبون إما وفق مخرج اللفظ، وإما وفق مـا اصطلحوا عليه، من هيئات كانت تتضمن زيادة حرف، أو نقصانـه، وهي إشارة موفقة إلى ما كانت عليه الكتابة آنذاك.

لكن عكر صفو كلامه ظنه أن عدم وجود نص ملزم برسم معين، يعني جواز كتابته على أية هيئة يراها الناس، وليس الأمر كذلك، لاعتبارات سنشير إليها.

وقد انتصر عدد من المحدثين لرأي الباقـلاني المتقدم، ومنهم الدكتور صبحي الصـالح الذي قـال: (إن رأي القاضي أبي بكـر لجديـر أن يؤخـذ به، وحجتـه ظاهرة، ونظره بعيد، فهو لـم يخلط بين الإجلال للسلف، وبين التماس البرهان على قضية دينية، تتعلق بـرسم كتاب الله، أما الذين ذهبـوا إلى أن الرسم القرآني توقيفي أزلي فقد احتكمـوا في ذلك إلى عواطفهم، واستسلموا استسلامـاً شعرياً صوفيا إلى مذاويقهم، ومـواجيدهم، والأذواق نسبية، لا دخل لها في الدين ولا تستنبط منها حقيقة شرعية) (٩٧).

وإذا كان الباقلاني ومن معه اكتفوا بجـواز كتابته بأي رسم، فإن العز بن عبد السلام يـرى وجوب كتـابته بالـرسم الاصطلاحي، لمسوغـات بدت لـه، منها

خوف الوقوع في الخطأ، ومنها التيسير على الأمة، فقد نقل عنه قوله [٩٨] لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى لئلا يوقع في تغيير الجهال، وليس غريبا على العز بن عبد السلام مثل هذا الرأي الذي تفرد به فهو صاحب نظرية المصالح، فالشريعة كلها عنده إما درء مفاسد، أو جلب مصالح [٩٩].

وهذا يعني أن العز يتفق مع القائلين بعدم وجود نص شرعي، بشأن الرسم، ومهما يكن لقاعدة المصالح من مكانة في الأحكام، فإنها لا تقوى في هذا المقام على أن تكون مستندا لما ذهب إليه، حين تعلق بالخوف من تغيير القراءة من قِبل العوام، غافلا عن أمور أخرى مقدمة عليها، بخاصة أن ثمة وسائل كثيرة متوافرة يمكن من خلالها التسهيل على الأمة في القراءة. مع الأخذ بعين الاعتبار البيئة التي قال فيها العز رأيه هذا.

وثمة قول ثالث طرحه أصحابه، ليكون توفيقا بين الأقوال. فقد ذهبت طائفة إلى جواز كتابته للعامة، والصغار، بالرسم الاصطلاحي الحديث [١٠٠]، تيسيرا عليهم، ويكتب للعلماء بالرسم المصحفي، وكأنهم استأنسوا بما روي عن مالك أنه أجاز ذلك.

وهو قول إلى التلفيق أقرب منه إلى التوفيق، لما قد يترتب عليه من مفاسد، منها ما قد يستقر في الأذهان على مر الزمان أن هناك مصحفين مختلفين، كما قد يؤدي إلى ضياع الرسم المصحفي؛ لأن الصغار سينشأون على الرسم الحديث، ولما كان صغار اليوم هم علماء الغد، ورجاله، فهذا يفضي إلى تجاهل الرسم المصحفي، والنظر إليه على أنه جزء من التراث وحسب.

وفي ضوء المنهج نفسه ترى طائفة [١٠١] أن يلتزم بالرسم المصحفي فيما كان متصلا بالقراءات ليحتمل الرسم أوجهها، وما عدا ذلك يتساهل فيه، وليس

من السهولة تطبيق هذا الرأي نظراً لكثرة القراءات، ولعدم ارتباط أكثرها بالرسم، كما أن هذه المسألة لا تعني عامة القراء، الذين لا يعلمون عن القراءات شيئا يذكر.

وبالجملة فإن القول الثالث بشقيه لا يختلف عن القول الثاني، فكلاهما يرى عدم وجود نص شرعي، الأمر الذي يجيزون معه التصرف في رسم المصحف، على نحو يدفع مفاسد، ويجلب مصالح.

إن المتأمل في المذاهب الثلاثة المتقدمة بتفريعاتها التي عرضنا لها، لا يرى فيها ما تسكن النفس إليه، ولا في أدلتها ما يعتمد عليه، فقد سيطرت على المذهب الأول فكرة التوقيف الشرعي، لكنهم عجزوا عن إثباتها بأدل مقنعة، وتكلف بعضهم في التماس الأسرار والحكم، وفي حين شط المذهب الثاني حين خطّأ الصحابة في كتابتهم، ولم يقدم المذهب الثالث شيئاً مناسباً.

إن علامات الاستفهام ما زالت قائمة، وربما ازدادت بسبب بعض الطروحات التي مرت بنا، فقد سلكت المذاهب المتقدمة طريقا غير موصل، لم يمكنها من تقديم إجابات شافية للأسئلة التي تثار في هذا المقام، وإن أفلح بعضها في شيء، فإنما أفلح كل منها في هدم المذهب المقابل، وتلك مهمة ليست بعسيرة؛ لأنها كلها لم تبنَ على منهج علمي سديد.

لقد سيطرت - على سبيل المثال - على الجميع فكرة أن القواعد الإملائية المستحدثة هي الأصل، وما خالفها - حتى ولو كان موجودا قبل ميلادها - يعد شاذاً خارجاً عن الصواب، وهذا التصور وحده كفيل بأن يحول دون الوصول إلى أية نتيجة علمية مقنعة، إن لم تزد ما نحن بصدده غموضاً.

إن المنهج العلمي الموصل يستلزم النظر في أصل اللغة، وفي نشأتها، وتطورها وصفاتها، وقت نزول القرآن الكريم، لعلنا نحصل على إجابات شافية لأسئلة كثيرة، تتصل برسم المصحف، على أن تكون دراسة هذا الموضوع دون مقدمات سابقة في الذهن تعكر صفو البحث العلمي، وهو الأمر الذي لا يكاد يوجد في دراسات المتقدمين، رغم جهودهم واجتهادهم الطيب.

تعددت وجهات النظر حول أصل اللغة العربية، ونشأتها ولذلك مسوغات، منها عدم وجود نص شرعي يركن إليه، وإلى مدلوله بهذا الشأن، ومنها قلة النقوش والكتابات التي تعود إلى العصور الأولى، ومنها أيضا وهم الاستنتاج، الذي صاحب بعض هذه الدراسات.

فمن قائل إن اللغة توقيفية من الله تعالى، وقد سبقت الإشارة إلى هذا القول[١٠٢]، ويبدو أن الروايات المتصلة بهذا القول لا يقرها البحث العلمي، وكأنها مما بثه أهل الأخبار والقصاص.

ويرى آخرون[١٠٣] أن الخط العربي من ابتكار مجموعة من الرجال، يدعون أبجد، وهوز، وحطي، وكلمن، وسعفص، وقرشت، وقد جعلوا ترتيب الحروف على أسمائهم، وأتبعوها ببقية الحروف الأخرى[١٠٤]، وقد رفضت هذه الرواية التي هي إلى الأسطورة أقرب منها إلى الحقيقة.

وقيل إن الكتابة العربية مأخوذة من الخط المسند، وهو خط أهل اليمن، أيام حمير[١٠٥] لكن الدراسات الحديثة ترفض هذا الرأي؛ لأن هيئات الحروف العربية التي كتب بها القرآن الكريم تختلف اختلافاً كبيراً عن أشكال حروف خط المسند[١٠٦] وغاية ما يقال في هذا المقال إنهما مشتقان من أصل واحد[١٠٧].

ولكن أكثر الآراء جدية وقبولا، تلك التي تعيد الخط العربي إلى الخط النبطي (١٠٨)، المأخوذ من الكتابة الآرامية، ويعتمد أصحاب هذا الرأي على عدة نقوش، تدل على تطور الخط النبطي إلى أن اختفى، وأخذ شكله النهائي في الخط العربي.

وقد قام الأستاذ خليل يحيى نامي بدراسة تحليلية لحروف الكتابة النبطية، عبر كثير من النقوش التي ترجع إلى قرون مختلفة، متتبعا صور الحروف، وتطورها منذ أقدم الكتابات النبطية، التي أخذت شكلها الأخير في الكتابات العربية الجاهلية، بما لا يدع مجالا للشك في انحدار الكتابة العربية من النبطية، التي تطورت عن الكتابة الآرامية قبل عدة قرون من ذلك (١٠٩).

وتتيح دراسة ترتيب الحروف العربية وأسمائها، وأشكالها، وصورها والتي تكاد تتطابق مع الحروف النبطية، وتشترك معها في كثير من خصائصها، سواء من حيث عدد الحروف في كلتا الكتابتين الذي يبدو أنها متساوية، أم من حيث اشتراك أكثر من صوت في رمز كتابي واحد مثل الباء والتاء والثاء، أم من حيث الصلة بين الحروف، إذ كانت الحروف في أول الأمر عند النبط غير متصلة، ثم بدأت بالتطور، حتى كادت تتصل جميع الحروف ببعضها، لتكون وحدات مستقلة، وقد ورثت الكتابة العربية هذه الظاهرة، فاتصلت أكثر حروفها ببعضها عدا مجموعة منها كالدال والراء (١١٠)، إن هذا كله يتيح لنا أن نرى بوضوح معالم تطور الكتابة العربية، وانحدارها من الكتابة النبطية، التي ترتبط بالكتابات الأخرى بأقوى صلات.

وبالتالي تكون الكتابة العربية قد ورثت مجموعة من صفات الكتابة النبطية، وبقيت ملازمة للكتابة العربية إلى وقت نزول القرآن الكريم.

ومن هـذه الصفـات أن الكتـابـة النبطيـة لم تكـن تثبت الألف (حـركـة المد الطـويلـة) في الكلمــة مثل التـج (التـاج)، ونجـرن (نجـران)، كما في نقش النمـارة النبطي [١١١]، وسـواء أقلنـا إنهم لم يثبتـوهـا مطلقـا، كما يـرى بعض الباحثين [١١٢]، أم قلنـا إنهم لم يثبتـوا الألف في وسـط الكلمـة فقط، كما يـرى آخرون [١١٣]، فالنتيجـة أن الكتابة العـربية ورثت عـدم الإشارة إلى الألف، في بعض المواضع من الكتابة النبطية، كما ورثت صفات أخرى ستمر بنا.

ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار أن هذه الظواهر الكتابية التي ورثتها العربية عن النبطية، قد ظهـرت في الرسم المصحفي، إلى جانب قضية أخـرى لا تقل أهمية عن سابقتها - لتكون القضيتـان نصب أعيننا ونحن نسعى لتفسير بعض ظواهر الرسم المصحفي - تلكم هي تسالم العلماء على تطور الكتابات.

تكون الكتابة بعـامة في بداية استعمالاتها وافية بالغـرض، خالية من التقصير إلى حـد بعيد؛ لأنها تعبر عن الأصـوات بدقـة [١١٤]، ولكن عنـدما تبـدأ اللغة بـالتطور تصبح الكتـابة عـاجزة عن مجاراتها، وغير قـادرة على تمثيل الأصـوات بصورة وافيـة مما يؤدي إلى تكون انحـرافات وتعقيدات كتـابية [١١٥]؛ لأن اللغة المنطوقـة من التعقيـد، بحيث تشتمـل على أكـداس من تفـاصيـل الشـدة، والتنغيم، والنطق الفجائي ممـا لا يستطيع نظام كتـابي تصويـرها، مهما بلغ من درجات الكمال [١١٦] بخاصة أنه يستحيل مسايرة الكتابة لتطور اللغـة.

يترتب على ما ذكرنـا بروز مشكلات كتابية، وقصـور في تمثيل الأصوات، فقد يكتب مـا لا ينطق، وينطق مـا لا يكتب، وقـد يُكتَب حـرف، وينطق بغيره، ولهذا من الخطأ أن نعتقـد أن النص المكتـوب يمثل الكـلام المنطـوق، تمثيـلاً دقيقـاً [١١٧]، فنحن في حقيقــة الأمـر نكتـب كما يكتب غيرنـا، لا كما نتكلم، وإلا كتب كل واحد بهيئة مختلفة عن غيره.

وحسبنا في هذا المقام أن نورد بعض الأمثلة الموجزة التي توضح ما أشرنا إليه، من ثلاث لغات، وهي العربية، والإنجليزية، والفرنسية.

ففي اللغة العربية نجد أهل الشأن قد عرفوا الخط بقولهم: هو تصوير اللفظ بحروف هجائه التي ينطق بها، وذلك بأن يطابق المكتوبُ المنطوقَ به من الحروف (١١٨)، لكنا نجدهم يوردون استثناءات كثيرة لهذه القاعدة، ويفردون لها أبوابا، فقد أفردوا باباً بعنوان (ما خالف رسمه لفظه)، ويدرجون تحته تفريعات منها:

أ - ما يلفظ ولا يكتب، ويمثلون له بكلمات: «التي، الذي، الذين»، التي تكتب بلام واحدة وتلفظ بلامين، وبكلمات «هذا، ولكن، وذلك، الرحمن»، فإنهم يثبتون لها ألفا في النطق، ولا يشار إليها في الكتابة.

ب - ما يكتب ولا يلفظ، ويمثلون له بكلمة مائة، مفردة ومثناة ومركبة، فإنهم يثبتون لها ألفا كتابة، لا لفظاً، ومثل أولئك التي زيدت فيها الواو، كتابة لا لفظا.

ج - ما يلفظ على خلاف رسمه - وهو كل ما يرسم ياءً مما تلفظ ياؤه ألفا، مثل رمى، الرحى (١١٩)، ومنه كلمة الرحمن والذاهب، فإنها تكتب بأل التعريف، وتنطق الأولى بالراء المشددة، والثانية بالذال المشددة (١٢٠).

وقد وضع علماء الرسم قواعد لكتابة الهمزة بأحوالها المختلفة، لكنهم مزقوها بكثرة الاستثناءات منها، كما يلحظ هذا جليا، من النظر في هذه القواعد (١٢١).

يضاف إلى هذا تعدد وجهات نظرهم في كتابة الهمزة، في بعض أحوالها، مثل كلمة مئة، فقد أجازوا كتابتها على ثلاثة أوجه، وهي مئة، مائة، مأة (١٢٢).




إن مثل هـذه الأمثلة التي أوردناهـا ، - لا على سبيل الحصر - ، تـدل على قصـور الخط عن الـوفـاء بتمثيل النطـق ، تمثيـلا سلبيا ، ومع هـذا لم تكن ثمـة مشكلة قـائمـة ، كما تشير بعض الأمثلة إلى أن كثيرا من الكلمات مـا زال رسمها موضع خلاف بين أهل الاختصـاص ، وتبقى الكتابة العربية - رغم مـا ذكرنا - أحسن حالاً من اللغـات الأخرى .

فإن في الكتـابـة الإنجليـزيـة من القصور والإبهام مـا يلفت الانتباه ، بحق ، ويكوّن مشكلـة كبرى ، يفصح عنها أهل الاختصاص كثيرا ، وحسبنا أن نـذكر بعض الأمثلة بإيجاز - كما فعلنا سابقا - ليتضح ما أشرنا إليه .

هناك حروف كثيرة في الكلمات الإنجليزية تكتب ، ولا تنطق ، مثل حرف K في Knife ، التي تنطق Nife ومثل حرف L في Walk ، Chalk ومثل حـرف T في Listen .

وهناك حروف تكتب بصـورة وتنطق بأخرى ، والأمثلـة على ذلك كثيرة منها ، حرف C ينطق أحيـانا بصـوت K مثل Cup ، وأحيـانا بصـوت S ، City ، وفي كلمة Bicycle يلفـظ الأول S ، والثـاني K ، وكذلـك حرف S يلفظ أحيـانا S ، مثل Sign وأحيانا Z مثل Hose ، وأحيانا ش مثل Sugar .

ومثل th تلفظ أحيـانا (ذ) ، كما في That ، وأحيـانـا (ث) كما في Thin ، وهذه المشكلات ومثلها كثير ، تعـد عبئا على الكتابة الإنجليزيـة ، ومؤشرا واضحاً على تفشي مظـاهـر النقص ، والقصـور ، في أداء الكتـابـة الإنجليـزيـة عن الـوفـاء بمتطلبات اللغـة .

أمّا في اللغة الفرنسية ، فحـدث عن هذا الجانب ولا حرج ، وقد وصف العالم الفرنسي فندريس نظام الكتابة الفرنسية بأنه سيئ (١٢٣) .



ففي الكتابة الفرنسية كلمات تكتب بحروف معينة، وتنطق بغيرها تماما، مثل كلمة YEUX بمعنى «عين» فإنها تنطق JIE (جي)، ومثل حرف Y الذي يعني «في» فإنه ينطق أيضا (جي).

وهناك مئات الكلمات في اللغة الفرنسية، تكتب فيها حروف، ولكنها لا تنطق أبداً، مثل LL في كلمات Fille بمعنى بنت وكلمة Jvillet بمعنى الشهر السابع (جولاي) فإنه لا ينطق منها حرفا LL، ولا حرف T وتنطق بالفرنسية (جويي).

كما أن هناك مئات الكلمات تبدأ بحرف H، ولكنه لا ينطق أبدا، مثل كلمة Hvit بمعنى رقم ثمانية فإنه ينطق (وت)، وكلمات تختم بحرف، ولا ينطق أيضا وهي كثيرة مثل كلمة Lit بمعنى سرير فإنه تنطق «لي»، وكلمة Vievx بمعنى شيخ فإنها تنطق (فييا) بإسقاط حرف التاء من الأولى، وحرف X من الثانية.

لقداضطر معلمو الفرنسية أمام هذه الكم الكبير من المشكلات الكتابية إلى تلقين الناشئة، والمبتدئين مئات الكلمات، لتحفظ بشكلها غيبا، ولهذا تعتمد الفرنسية كثيرا على التلقين والمشافهة؛ لأن قراءتها دون معلم تخدع، وتؤدي إلى أخطاء فاحشة.

لقد قصدنا من هذه الإشارات بيان ما في الكتابة بعامة من قصور، وانحرافات - كانت قائمة، وما زالت، ولا يرى في الأفق ما يدل على أنها ستتلاشى وتزول - بغية أن نجعل هذا الأمر نصب أعيننا ونحن ندرس بعض ظواهر الرسم العثماني لنرى هل هي ناتجة عن خطأ من الكتَّاب، أو أنها كتبت على هذه الهيئة بتوجيه نبوي، أو أن ذلك كله لم يكن، والمسألة لا تعدو أن تكون واقعا كتابيا، كان موجودا قبل نزول القرآن الكريم و إبَّان نزوله.

إن الظواهر الكتابية التي تفرد بها الرسم المصحفي قليلة، ومحصورة في عدة



حالات أهمها : ١ - حذف الألف وزيادتها .

٢ - حذف الواو وزيادتها .

٣ - كتابة ذوات الهاء بالتاء .

ولعل إلقاء شيء من الضوء على هذه الظواهر، يعين على تفهم بقية الحالات، التي لا يتسع المقام لعرضها، وهي قليلة على أية حال .

حذف الألف وزيادتها :

أثبتت قواعد الرسم القياسي كتابة الألف المتوسطة للإشارة إلى الفتحة الطويلة كونها ثابتة في النطق - ليطابق المكتوب المنطوق، مثل عاد، وصار، وقد رسمت هذه الألف في كلمات عدة في المصحف، بيد أنها لم ترسم في كلمات أخرى كثيرة .

عند تتبع الألف المتوسطة في الرسم المصحفي نجد أن حذفها جاء مطّردا في الكلمة الواحدة، كما جاء إثباتها كذلك في الكثير الغالب .

فقد وردت كلمة (سلام) في القرآن الكريم أربع وأربعين مرة، لم تثبت فيها الألف في أي موضع، كما جاءت كلمة كتاب، ومشتقاتها أكثر من ثلاثمئة وخمسين مرة، لم تثبت الألف فيها كلها، وجاءت كذلك كلمة أصحاب ثمانية وسبعين مرة، ولم تثبت الألف في أي منها، ووردت كلمة عالم ست عشرة مرة، كلها جاءت بدون ألف .

ورسمت كلمات في المصحف بالألف دائما، عكس الفئة الأولى، مثل هاجر، وتاب وعاقب، وإن كان ورودها قليلا، أما كلمة قال، فقد وردت أكثر من خمسمئة مرة، أثبتت فيها الألف جميعها، إلا في مواضع محدودة، جاءت بدون ألف وقد قرئت[١٢٤] في هذه المواضع بصيغة فعل الأمر (قل) مما سوغ عدم إثبات الألف .

وهناك كلمات قليلة جاءت بإثبات الألف، وبحذفها، مثل كلمة شاهد، أثبتت فيها الألف في حالة الرفع، ولم تثبت في حالة النصب.

إن الصفة الغالبة عدم إثبات الألف على الفتحة الطويلة وسط الكلمة، ولن نجد من العسير علينا تفهم هذه الظاهرة بعد أن علمنا أن الكتابة العربية متطورة عن الكتابة النبطية، والتي دلت النقوش على أنها لم تكن تثبت هذه الألف في الغالب.

فكان كتّاب العربية يلتزمون بصور الكتابة الموروثة، فلم يثبتوا الألف، لكنهم في الوقت نفسه كانوا يشعرون - فيما يبدو - بضرورة رسمها؛ لظهورها في النطق، وقد تمكنوا من إثباتها في عدة كلمات (١٢٥) لكنه لم يكن من اليسير عليهم تعميم ذلك في كل الحالات، وتناسي صور هجاء الكلمات القديمة.

فلما نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ، انتدب الكتبة من الصحابة الكرام لكتابته، وكانوا وقتئذ يعايشون الواقع الكتابي، المشار إليه، فقاموا بكتابة القرآن الكريم في ضوء هذا الواقع، دونما حرج، أو شعور بالخروج على قاعدة ما، ولم يتدخل الرسول ﷺ في هذه الكتابة كما أشرنا سابقا، تفهماً منه ﷺ لهذه المسألة برمتها، بخاصة أن كتابة القرآن الكريم كانت وسيلة إضافية لحفظه؛ لأن التعويل كان على الحفظ والتلقي والمشافهة، ولم يكن للرسم ذاك الأثر في نطق الكلمة القرآنية، كما نراه في الكتابات الأخرى.

ولعل هذا التعليل الذي ذكرنا يغني عن تكلفات المتقدمين، ومن شايعهم الذين تلمسوا لحذف الألف حكما وأسرارا، أو ربطوا بينها وبين تعدد القراءات، فلم يكن بحسبان كتّاب الوحي شيء من هذا قط، كما لم يخضع رسم الألف عندهم إلى معيار معين، كما اعتقد بعض الباحثين (١٢٦) الذي يرى أن الكلمات كانت تخضع في ميلها لإثبات رمز الفتحة الطويلة المتوسطة لعدد الرموز، التي تتألف منها، فكلما كثرت الرموز أبطأت في الاستجابة لإثبات رمز

الفتحة الطويلة، كما يغلب عدم إثبات الألف في صيغة المضارع، وفي حالة اتصال الضمائر.

وليس الأمر كذلك؛ لأن الألف أثبتت في كلمة «صاحبكم»، التي وردت ثلاث مرات، وأثبتت في «صاحبهم»، التي وردت مرتين، كما أثبتت الألف في «عاقبتم»، التي وردت مرتين كذلك، وفي كلمة «جناحيه»، وكلها كلمات اتصلت بها ضمائر.

كما أثبتت الفتحة الطويلة في الفعل المضارع «يخافون»، والذي ورد في القرآن إحدى عشرة مرة.

ولو كانت استجابة الكلمة لإثبات الألف مرتبطة بقلة حروفها، لأثبتت في كلمات: «هذا، ولكن، وذلك، وهؤلاء» والتي تحجرت على رسمها القديم، إلى يومنا هذا ولم تروض في ضوء القواعد القياسية، وترسم بالألف.

زيادة الألف:

إذا دخلت اللام على كلمة أولها ألف فإنها - في ضوء القواعد القياسية - تلحق بالألف لتصبح لام ألف مثل لأقعدن، أو لأقفن، وقد رسمت بعض الكلمات في القرآن الكريم على هذه الهيئة مثل ﴿ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم ﴾ (١٢٧) ﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ (١٢٨).

ولكن كتَّاب المصحف أثبتوا ألفا في بعض هذه الكلمات، بعد اللام ألف كما في قوله تعالى ﴿ لا أوضعوا . . ﴾ (١٢٩) ﴿ لا أذبحنه . . ﴾ (١٣٠) ﴿ لا إلى الجحيم ﴾ (١٣١).

وقد تباينت مواقف العلماء من هذه الألف المزيدة، فجعلها بعضهم خطأً كتابيا؛ لأنه لا محل لها في هذا الموضع، وحكم عليها بأنها من (١٣٢) سوء هجاء الأولين.

وقد سبق أن أشرنا إلى أن التفسير بالخطأ علة عليلة، بخاصة في هذه الظاهرة؛ إذ لا يتصور أن يكتب الصحابة كلمتين متشابهتين، ومتجاورتين، برسمين مختلفين، والسبب سوء هجائهم، وذلك في قوله تعالى ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾.

قال بعضهم [١٣٣] زيدت الألف في لاأذبحنه للإشارة إلى عدم وقوع الذبح، وهذا تكلف واضح؛ لأن هذا الأمر كما ذكرنا مراراً لم يكن من مقاصد الصحابة، عندما كتبوا القرآن الكريم، يضاف إلى هذا أنها زيدت في مواضع أخرى، لا يملكون لها تعليلا مماثلا.

وقد ربط بعض العلماء بين هذه الألف والحركات القصيرة، فجعل زيادتها للدلالة على الفتحة [١٣٤]، فتكون الألف صورة لفتحة الهمزة، من حيث كانت الفتحة مأخوذة منها.

فإن الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربي [١٣٥]، وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطباع، فكتبوا صورة الهمزة ألفا، وفتحتها ألفا أخرى فصارت «لا أذبحنه».

وقد اعترض على هذا التوجيه [١٣٦] بأن الكتابة العربية قبل الرسم المصحفي كانت مجردة من أية علامة، أو رمز للإشارة إلى الحركات القصيرة (الفتحة، الضمة، الكسرة).

ونحن لا ندعي خلاف هذا، بل نقول إن عدم تمكنهم من استخدام رموز، أو إشارات للدلالة على الحركات القصيرة ألجأهم إلى استعمال الحركات الطويلة في محاولة لتمثيل النطق تمثيلاً سليماً وهم يكتبون أقدس نص عرفوه، فرسمت الألف في كلمة لا أذبحنه للإشارة إلى الفتحة حتى لا تقرأ بالتشديد والضم، كما قرئت الكلمة التي بعدها لأعذبنه التي تخلو من الألف [١٣٧].

إن التفريق في رسم كلمتين متجاورتين، ومتشابهتين يتضمن إشارة إلى أن رسم الصحابة للمصحف لم يكن كيفما اتفق، وقد ساعد على هذا الاستعمال العلاقة الوثيقة بين الحركات الثلاث، وحروف المد الثلاثة (١٣٨) فإن الحركات أبعاض حروف المد، واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وكان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة.

وثمة تعليل آخر لزيادة هذه الألف، مبني على الشكل الذي تميزت به اللام ألف في الكتابات القديمة، من حيث طبيعة صلة الألف باللام، إذ إنها أخذت شكلا معينا في الكتابة النبطية، وهو « لا » كما يظهر في نقش النمارة في كلمة الأسدين (١٣٩)، وورثت الكتابة العربية الشكل نفسه كما يظهر من نقش جفنة الأبيض في كلمة الأشعري (١٤٠).

وقد اكتسب هذا الحرف صفة الثبوت، فبدا من المحتمل أن الكتّاب حين يريدون إلحاق اللام في أول كلمة تبدأ بالألف، لا يتبادر إلى ذهنهم، ولا تجري أقلامهم إلا بهذا الشكل القديم، الشائع المشهور لاتصال الألف باللام، فيلحقونه أمام الكلمة المراد إلحاق اللام بها دون أن يحذفوا رمز الألف الذي كان في أول الكلمة، ومن هنا استقر رمز الألف بعد اللام ألف في بعض الكلمات، ولكن الكتّاب كلما تنبهوا إلى حقيقة زيادة الألف في مثل هذه الكلمات، حذفوها ولم تبق من آثار تلك الظاهرة إلا بضعة كلمات ظهرت في الرسم المصحفي (١٤١).

ونحن لا ننفي هذا التفسير الذي يرجع هذه الظاهرة إلى الواقع الكتابي، الموروث، والذي غالبا ما يثبت على هيئة معينة يصعب تعديلها، بخاصة أن

هذا الرأي استبعد فكرة خطأ الكتّاب التي سيطرت على آخرين، مع بقاء الرأي الذي ربط بين الألف والفتحة الأوفر حظًّا في القبول.

حذف الواو:

استخدمت الكتابة العربية رمز الواو الصامتة (و) لتمثيل الضمة الطويلة، (واو المد) (١٤٢) سواء أكانت في وسط الكلمة، أو في طرفها، فإثبات الواو في وسط الكلمة جاء مطّردا، مثل قولا، قوما، إلا أن تجتمع صورتان للواو، فقد جرى الرسم على حذف إحداهما مثل (لا تلون، لا يستون، الغاون) (١٤٣).

وأثبتت الواو في آخر الكلمة، دونما التفات في الغالب إلى ما قد يصيبها من تغيير، كتقصير أو حذف، وربما ساعد على هذا زيادة الألف بعدها، حيث حرص الكتّاب على إثباتها (١٤٤).

بيد أن الواو حذفت من آخر الكلمة في عدة مواضع في القرآن الكريم، دون سبب نحوي وذلك في قوله تعالى ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ ﴾ (١٤٥) وقوله ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ (١٤٦) وقوله ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ (١٤٧) وقوله ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ (١٤٨).

فالكلمات (يدعو، يمحو، ندعو) أفعال مضارعة، لم يقترن بها ما يوجب جزمها، بحذف حرف العلة منها وهو الواو.

وقد أشرنا سابقا إلى المنهج القائم على تعليل هذه الظاهرة وأمثالها بوجود حكمة وسر وراء حذف الواو، حين جعلوا حذفها للدلالة على سرعة وقوع الفعل، وسهولته (١٤٩) وقد ذكرنا غَيْرَ مرة أنه مسلك غير سديد، وتعكر عليه أمور شتى.

ولأهل اللغة تعليلات أخرى، لهذه الظاهرة، أقربها للصواب ما أشار إليه سيبويه، حين أفرد في كتابه باباً بعنوان (باب ما يحذف من السواكن إذا وقع بعدها ساكن) (١٥٠).

فقد حذفت الواو في الكلمات المتقدمة؛ لأنها ساكنة وجاء بعدها حرف ساكن وهو اللام في كلمات «الإنسان، الله، الداع، الزبانية» [١٥١] فإن الألف اللينة والياء بعد الكسرة والواو بعد الضمة إذا لقيهن حرف ساكن بعدهن سقطن، كقولك عبد الله ذو العمامة، كأنك قلت ذُل، وتقول رأيت ذا العمامة، كأنك قلت ذَل وتقول مررت بذي العمامة كأنك قلت ذِل، ونحو ذلك في الكلام أجمع.

ويبدو أن الكتّاب كانوا يراعون في درج الكلام اللفظ والوصل، دون الأصل والقطع، وقد تنبه الداني لهذه الظاهرة، حين علق عليها بقوله [١٥٢] وذلك من حيث عاملوا في كثير من الكتابة اللفظ والوصل، دون الأصل والقطع، ألا ترى أنهم لذلك حذفوا الألف، والياء، والواو في نحو قوله (أيه المؤمنون، وسوف يؤتِ الله، ويدع الإنسان) وشبهه لما سقطن من اللفظ لسكونهن وسكون ما بعدهن، وبنوا الخط على ذلك، فأسقطوهن منه.

وقد وقع بعض العلماء في الخطأ، وهم يتحدثون عن هذه الظاهرة عندما غاب عنهم أن كتّاب المصحف لم يلتفتوا دائما إلى أن الأصل في كتابة الكلمة هو الابتداء بها والوقف عليها، حيث بنو الخط على لفظ الكلمة، لا على بنائها، ولهذا أسقطوا بعض الحروف في درج الكلام [١٥٣] على أن الحذف لم يشمل كل الحالات التي التقت فيها الضمة الطويلة من آخر كلمة بحرف ساكن من أول كلمة أخرى، فقد جاءت الواو ثابتة في سوى الأمثلة الأربعة المشار إليها، كما في قوله تعالى ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [١٥٤] وقوله ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾ [١٥٥] وما أشبه ذلك، فقد جرى الكتّاب في هذه الأمثلة وما يشبهها على أصل بناء الكلمة، دون الالتفات إلى ما لحقها في الكلام المتصل من تغيير.

والخلاصة أن كتّاب المصحف لم يكونوا يتصرفون في رسم الواو كيفما اتفق، وإنما كانوا يترددون بين الاستجابة للفظ فيسقطونها، وبين الالتفات إلى بنائها فيثبتونها.

ولا يغيب عن البال أن الكتابة العربية تطورت عن النبطية التي كانت تعاني من جوانب نقص، وعدم استقرار.

ويبدو أن الوجهين كانا مقبولين، وذلك على أقل تقدير قبل أن يحتكم العلماء إلى قواعد الرسم التي وضعوها، وارتضوها، ومنها القاعدة التي تتعلق بها نحن بصدده، وهي أن الأصل في الكتابة أن تمثل صوت الكلمة مبدوءًا بها، وموقوفا عليها، بغض النظر عن درجها في الكلام، وما يتبعه من تغيير في نطقها، مع أننا لن نعدم من الحالات ما يخرم هذه القاعدة.

زيادة الواو:

زيدت الواو في رسم بعض الكلمات في المصحف، دون أن يكون لها مقابل في النطق، وهو ما يسمى عند العلماء كتابة الألف واوًا، كما في كلمات الصلاة، والزكاة والحياة، والربا، في قول الله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾(١٥٦) وفي قوله تعالى﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ (١٥٧) وفي قوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ (١٥٨).

وقد تباينت توجيهات العلماء لهذه الظاهرة، فمنهم (١٥٩) من جعلها خطأً كتابيا ألفه الناس واعتادوه، ويرى آخرون (١٦٠) أن الألف كتبت واوا حملا لها على الأصل، فإن أصل الألف في الكلمات المذكورة واو (١٦١)، ويبدو أن هذا التفسير مقبول لو أن أصحاب هذا المذهب بينوا لنا لماذا يصر الكتّاب على التمسك بالأصل في هذه المواضع.

وهناك من يعيد هذه الظاهرة إلى العامل الوراثي، وتفيد الدراسات المتخصصة أن الواو كانت تلحق بآخر الأعلام في الكتابة النبطية، فقد تضمنت بعض النقوش النبطية القديمة كلمات زيدت الواو في آخرها مثل (١٦٢) ظلمو أي ظالم، نزرو أي نزار، وتظهر الواو بجلاء في كلمة مناة التي وجدت مكتوبة في



نقشين نبطيين أحدهما في القرن الأول قبل الميلاد، والثاني في ٢٦٧م فقد وجدت مرسومة فيهما هكذا (م ن وت و) منوتو [١٦٣].

فمن المحتمل أن تكون بعض هـذه الكلمات قد حافظت على صورهـا النبطية القديمة، رغـم ما قد تكون عليـه من نطق جديد في اللغـة العـربية، وسبق أن ذكرنـا رأي فندريس الذي يؤكد أننا نكتب كما يكتب غيرنا، لا كما ننطق.

فإن الكلمات المتقدمـة كلها التي كتبت بالواو تقرأ بالألف؛ لأنها هكذا تنطق في اللغـة العـربيـة، وكلنـا يـدرك أن التـلاوة والمشـافهـة هما الأصل في نقل المصحف، ولـم يكن التعويل يوما على الكتابة، التي عدهـا أهل الشأن وسيلة إضافية للحفظ.

ويقوي التفسير المتقدم أن الكلمات التي حـافظت على صورها القـديمة مثل الصلاة والحياة [١٦٤] متى تغيرت صورتها، كأن تضـاف مثلا أو تجرد من الألف واللام نجد الكاتب يستجيب للنطق الجديد، ويتخلى عن الشكل القديم.

ونلحظ هذا في كلمة الصلاة عند إضافتهـا، فقد وردت مضافة إحدى عشرة مرة، رسمت فيها كلها بالألف دون الواو، كما في قوله تعالى ﴿ **وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾ [١٦٥] وقوله تعالى ﴿ **كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾ [١٦٦] وقوله تعالى ﴿ **إن صلاتك سكن لهـم** ﴾ [١٦٧].

وهذا الاختلاف في الـرسم كاف للميـل إلى الاعتقاد أن كتَّاب المصحـف لـم يكـونوا يـرسمـون الكلمات من فـراغ، أو كيفما اتفق، وإنما كانـوا يسيرون - فيما يبدو - على هدى من علم في هذا المقام وهذا المؤمل فيهـم.

كتابـة الهـاء بالتـاء المفتوحـة:

ذكرنا أن كتابة الهاء بالتاء المفتوحة من صفات الكتابة النبطية التي ورثتها عنها الكتـابة العـربية، ولكـن هل كان هذا الأمـر مطّـرداً في الكتابـة النبطية، في

حالات الكلمة جميعها ؟، هذا ما ذهب إليه بعض الباحثين [١٦٨]، في حين يرى آخرون [١٦٩] أن كتابة الهاء تاء مفتوحة كان في الكلمات التي ترد في حالة الإضافة فقط، وقد تضمنت نقوش عربية جاهلية كلمات كتبت بالهاء والتاء أشرنا إليها.

أما في المصحف فقد رسمت كلمات بالتاء وظاهرها أن ترسم بالهاء، ورسمت الكلمات نفسها بالهاء أيضا، ولتفهم هذه الظاهرة نعرض لأشهر الكلمات في هذا المقام.

وردت كلمة «رحمة» في القرآن تسعا وسبعين مرة، جاءت مضافة في اثني عشر موضعا، رسمت بالتاء في سبعة مواضع منها وهي ٢١٨ البقرة، ٥٦ الأعراف، ٧٣ هود، ٢ مريم، ٥٠ الروم، ٣٢ الزخرف مرتين، ولم ترسم كلمة رحمة بالتاء في أي من المواضع غير المضافة.

ووردت كلمة «امرأة» إحدى عشرة مرة، أضيفت في سبعة مواضع منها، ورسمت فيها كلها بالتاء، وهي ٣٥ آل عمران، ٣٠، ٥١، يوسف، ٩ القصص، ١٠ التحريم مرتين، ١١ التحريم.

ووردت كلمة «سنة» ثلاث عشرة مرة، أضيفت فيها كلها إلا واحدة، وكتبت في خمسة مواضع من المواضع المضافة بالتاء، وهي ٨٣ الأنفال، ٤٣ فاطر ثلاث مرات، ٨٥ غافر.

يمكن أن نستنتج مما تقدم أن جميع الكلمات التي لم ترد مضافة كتبت بالهاء، دون التاء المفتوحة وأن الغالب في الكلمات المضافة أن ترسم بالتاء، فقد وردت إحدى وثلاثين مرة مضافة رسمت منها تسع عشرة كلمة بالتاء، في حين غلب بصورة عامة الرسم بالهاء على الرسم بالتاء، فقد وردت في الأمثلة السابقة مئة وثلاث كلمات، رسم منها بالهاء اثنتان وسبعون كلمة، مما يدل في هذا المقام

على أنه لم يكن خافيا على كتَّاب المصحف، أولوية كتابة الكلمة بحروف هجائها، بتقدير الابتداء بها، والوقف عليها، وهو ما ضبطه العلماء فيما بعد بهذه القاعدة، وإن كان كتَّاب المصحف لم يلتزموا بهذا الأمر التزاما تاما لمسوغات أخرى، حين بنوا الخط على الوصل، فكتبوا بعض الكلمات المضافة بالتاء - كما رأينا - استجابة للنطق، بخاصة [١٧٠] أن التاء هي الأصل في علامة التأنيث، والهاء بدل منها في الوقف.

إذا أضيفت هذه الملاحظة إلى سابقتها المتعلقة بالوراثة، ظهر لنا تهافت الرأي الذي يرى أن كتابة الهاء تاء خطأ وقع فيه الكتَّاب، سببه ضعف مقدرتهم الكتابية، فإن الأمر أبعد من ذلك، وأحكم.

لم يكن هدفنا دراسة ظواهر الرسم المصحفي باستقصاء، وتتبع، فذاك أمر لا يتسع المقام له، وليس من أهداف هذا المبحث، وقد خدمت كثيراً في دراسات السابقين، وإنما قصدنا من هذا الاستعراض الموجز لبعض الظواهر أن نبين مدى ارتباط الرسم المصحفي بالواقع الكتابي، الذي كان سائداً وقتئذ، ويلقي بظلاله على كتاباتهم، مما يعني أن كتابة المصحف لم تَنْشَأ من فراغ، ولم تأت خبط عشواء، وإنما جاءت على هدى من مقدمات سابقة في أذهان كتَّاب الوحي، أملتها عليهم طبيعة الكتابة آنذاك، من حيث كونها موروثة، وغير مستقرة في بعض جوانبها، إلى جانب تلك الاتجاهات التي تتنازع الكاتب، والتي أشرنا إلى بعضها.

إن نظرة متأنية لما قدمنا على وجازته، تجعلنا نرى ضرورة إعادة النظر في مواقف كثير من العلماء، من الرسم المصحفي، ومن تفسيراتهم لبعض ظواهره، فالقول بأن هذا التميز ناتج عن توجيه نبوي، وأمر شرعي، ترده أمور كثيرة، من أهمها نشأة اللغة، وما صاحبها، مما عرضنا لجانب منه.

ومجيء هذه الظواهر على نسق متميز، ومطّرد في كثير من الأحيان، وأخذ

الواقع الكتابي آنـذاك، وما صاحبه، بعين الاعتبـار يبطل فكرة خطأ الكتَّاب كما بينا.

إن إعـادة ظواهر الرسم المصحفي برمتها إلى الواقع الكتابي، الذي تحدثنا عنه مراراً، يصحح مسـار النظر في هذه القضيـة، ويتيح توجيـه الحديث بعيدا عن الخلافـات غير الموصلـة، كما يساعـد على إبـراز المسألـة التي هي محل النظـر، ويؤدي إلى تجريدهـا مما علق بها، والمتعلقـة بمشروعية كتـابة المصحف بـالرسم الحديث ومسوغات هذا العمل.

وتجنبا للوقوع فيما أخذناه على منهج المتقـدمين، فإنا سنعرض لبعض المفاهيم في ضوء ما تقدم، ونسعى لأن تنجلي عن إجابة منطقية لهذه القضية.

إن أصل الأشكال نـاشئ من تطبيق قاعدة القياس المقلـوب، حين نظروا إلى الـرسم المصحفي في ضوء قـواعد وضعت بعـد عشرات السنين [١٧١] من كتابة الصحـابـة الكرام للمصحف، فحكمـوا لـذلك على بعض صنيعهم بـالخطأ، والاضطراب.

ولـو صح هذا المذهب وجاز هذا المقيـاس، لحق لمن جاء بعد هؤلاء العلمـاء - الـذين استنبطوا قـواعد الـرسم الحديث وارتضوهـا - أن يكيل لهم بمكيـالهم فيحكم بتخطئتهم في بعض المواضع بخاصة، تلك التي تعـددت فيها وجهات النظر.

وهب أن مجمعا علميا درس ظـاهرة إسقاط الألف من رسم بعض الكلمات، التي تظهر في نطقها مثل (هذا، ولكن، الـرحمن) ورأى إضافة الألف لمسوغات علمية وتربويـة، فهـل يجيـز هذا العمـل وصف العلمـاء السـابقين - الذين أقروها بغير ألف - بالجهل، ومحدودية الإمكانات، وبالوقوع في الخطأ، كما فعل بعضهم مع كتَّاب المصحف.

إن عرض وجهات نظر العلماء المتعددة حول كتابة الهمزة مثلا، في حالاتها المختلفة في ضوء المسلك المشار إليه يفتح الباب أمام تخطئة كل من أدلى بدلوه من العلماء فيها، وهذا منهج غير سديد.

لقد تنبه الناس عامة إلى السلبيات المترتبة على ما يعرف بإجراء القوانين بأثر رجعي، فتجنبوا العمل به، لما فيه من مزالق خطيرة.

إن غياب هذه المسألة على بساطتها أدخل بعض العلماء في متاهات، وحملهم على مجانبة الصواب، فتوهموا أن في رسم المصحف مخالفة للقواعد، ثم طفقوا يبحثون لها عن تعليلات، وتفسيرات، في حين اكتفى بعضهم بوصف الكتَّاب بالجهل، وكل ذلك لم يكن.

وثمة أمر آخر، وهو أن المصحف المنتشر في أرجاء الأرض اليوم يتميز برسمه الخاص والثابت على مر السنين والموحد، وهذه خصائص عزيزة لا تتوافر لكتاب قط على وجه الأرض، ولها من الآثار الإيجابية ما يضيق المقام عن ذكره.

إن محافظة المصحف على رسمه المتميز عبر مئات السنين دليل ساطع على سلامته، من أي تغيير، أو تبديل، وتتجلى العظمة في ثبوت هذا الرسم وتوحيده، حتى كأن المصاحف المنتشرة في بيوت المسلمين في أرجاء الأرض نسخة واحدة، طاف بها طائف على هذه البيوت.

في حين لو كتب بالرسم الإملائي الحديث لتلاشت هذه الميزات، لتعدد وجهات النظر، في كتابة كثير من الكلمات، وما زالت المجامع اللغوية في العالم الإسلامي تبدي رأيها، وتختلف فيما بينها، في كتابة كثير من الكلمات، ولكل حجته، وهم مسبوقون إلى هذا الاختلاف؛ لأن بعض هذه القواعد لم يكن محل اتفاق منذ أن وضع، وحتى الآن.

إن هذا الصنيع سيؤدي في المستقبل إلى ظهور مصاحف متباينة، في رسمها،

مما قد يجيز لفئة أن تقول إن ثمة مصاحف متعددة ومختلفة، بخاصة عندما يبقى بعضها محافظا على الرسم المصحفي، وقد تغذى هذه الظاهرة فيما بعد، وينتصر كل قطر لمصحفه، ورسمه، بتصويب فعله، وتخطئة غيره، فيزعم زاعم حينئذ أن المصاحف صارت كالأناجيل، فيعيش المسلمون فتنة، ولا عثمان لها.

إن عامة الذين يتحدثون عن الحاجة إلى كتابة المصحف بالرسم الحديث ينطلقون من حرصهم على الناشئة، وأعتقد أن هذا الأمر أعطي أكثر مما يستحق، ذلك أن الناشئة في العادة يبدأون بقراءة جزء عمَّ، والذي يضم ستا وثلاثين سورة، وإذا تتبعنا ظواهر الرسم الموجودة في هذا الجزء فإنها لا تزيد على ظاهرتين اثنتين فقط.

الظاهرةالأولى كتابة عدة كلمات من ذوات الألف بإسقاطها مثل السماوات، والإنسان، وجنات، وغيرها، وقد وردت كلمة السماوات مرتين فقط، في الجزء كله، في حين وردت كلمة الإنسان ست عشرة مرة، أمَّا كلمة جنات فلم ترد إلاَّ ثلاث مرات فقط.

أمَّا الظاهرة الثانية فهي كتابة كلمة الليل بلام واحدة، وقد وردت هذه الكلمة سبع مرات فقط، في الجزء كله.

يتبين لنا من خلال هذه الإشارات أن الأمر جد يسير، ولا يستدعي التفكير بتغيير رسم المصحف، كله، بحجة الحرص على الناشئة، وإذا غدت هذه الكلمات مشكلة لهم، فإن غيرها من الكلمات في الرسم الحديث لا تقل عنها إشكالا، ولا يزال الناشئة وغيرهم يعانون من بعض ظواهر هذا الرسم، المتمثلة في كتابة ما لا ينطق، كأل الشمسية في مئات الكلمات، أو العكس كإسقاط الألف من كلمات كثيرة، سبقت الإشارة إليها، ومع هذا لم يفكر أهل الشأن في إجراء أي تغيير عليها، ولم يطالبوا بذلك أصلا.

وإذا ذكرنا بإزاء هذا، أن تعليم القرآن الكريم يعتمد على المشافهة، والقراءة على أهل الاختصاص، لا على مجرد النظر في المصحف، وأن الأمة كلها تلقت القرآن بهذا الأسلوب زال ما يتوقع من لبس وإشكال، وهذا هو الملحوظ اليوم في الناشئة، التي تجد العناية اللازمة لهذه المهمة الكبرى.

على أننا لن نعدم من الوسائل ما يزيل هذه المصاعب، كأن تدرَّس ظواهر الرسم المصحفي للطلاب في مراحل الدراسة الأولى، وليس هذا بكثير على القرآن الكريم، أو تكتب هذه الكلمات، رغم قلتها وتكرارها في هامش كتب التعليم بالرسم الحديث.

إن الإشكال لا يكمن في رسم المصحف، وإنما هو في أساليب التعليم، وفي الجهود المبذولة في هذا المجال، لقد اعترف علماء الفرنسية بسوء النظام الكتابي في لغتهم، ومع هذا انتشرت في مناطق كثيرة من العالم، لم ينل أكثر أهلها حظا من الحضارة، والتقدم، كبعض مناطق أفريقيا وأمريكا الجنوبية، وذلك يعود إلى الجهود التي بذلها الفرنسيون في سبيل تعليم لغتهم، وتذليل العقبات التي تعترض طريقهم بالتفنن بالأساليب حتى غدت اللغة الثانية في العالم، وهذا ما نفتقد الكثير منه بشأن تعليم اللغة العربية بعامة، والقرآن الكريم بخاصة.

إن وسائل الإعلام في العالم الإسلامي على كثرتها واتساعها لم تعنَ بجانب تعليم القرآن الكريم للناشئة، بالرغم من الوقت الكبير المخصص لهم في بعض هذه الوسائل، إن تغيير الرسم لا يحل الإشكال إن وجد؛ لأن ظاهرة الضعف العام في القراءة والكتابة متفشية، ولا بد أن تؤتى البيوت من أبوابها، فيسلك القائمون على أمر الناشئة ما سلكه سلف هذه الأمة في عنايتهم بتعليم القرآن الكريم بالوسائل المثمرة، وعندها سيختفي الحديث عن تغيير رسم المصحف، حين تزول الأزمة التي هي أزمة أمة، من حيث عنايتها وجديتها، لا أزمة رسم كما يتوهم.

وثمة بعد تاريخي لرسم المصحف، ينبغي الالتفات إليه، ذلك أن القرآن الكريم سجَّل واقع الكتابة العربية في إحدى مراحلها تسجيلاً دقيقاً وأميناً، وبهذا يكون قد قدَّم للكتابة العربية خدمة فريدة، لم يقدمها كتاب قط إلى لغة ما، عبر عصور التاريخ كلها، فكان بمثابة المتحف لها.

إننا نرى الأمم الأخرى تطير فرحا لو عثرت على أثر قديم، يتضمن حروفا أو كلمات من كتابتها، حتى لو كان مشكوكا في صحته وأصالته، وعناية الأمم بآثارها ظاهرة بارزة، فالأجدر بهذه الأمة أن تعنى بهذا الرسم، وتحافظ عليه ليطَّلع الأجيال على طبيعة الكتابة العربية وعلى خصائصها قبل مئات السنين، وستكون الخسارة جد كبيرة لو طمس هذا الرسم، واختفت معالمه، ثم تزداد هذه الخسارة لو أخذنا بعين الاعتبار ذلك الكم الهائل من الدراسات التي عنيت به، ودرست ظواهره، والتي حوتها عشرات الكتب، على مر السنين فإن تغييب الرسم المصحفي يعني انتفاء الحاجة إليها، لارتباطها به، مما يؤدي إلى أن تزول بزواله، وبذلك تند الأمة جزءا قيما من تراثها العظيم دونما سبب يذكر.

ولا يخفى أن خدمة الرسم المصحفي للكتابة العربية لم يقتصر على الجانب التراثي، فإن قواعد الرسم الحديث مستنبطة من الرسم المصحفي، باستثناء بعض القواعد التي خضعت للقياس، أو تلك التي جاءت في المصحف على وجهين اقتصر في الرسم الحديث على واحد منها، فلا ينبغي والحالة هذه توهم وجود تباين بين الرسمين، أو تنافر، ولم يكن الأمر يستدعي من البداية تقسيم الرسم إلى قديم وحديث، بسبب فروق يسيرة بينهما، هي أقل من تلك الفروق الموجودة في قواعد الرسم الحديث نفسه.

وقد صار المصحف أحد الشروط الثلاثة لقبول القراءة، فتغيير رسمه يذهب بهذا الشرط، ويختل ركن مهم من أركان القراءة الصحيحة.



ومما يلفت الانتباه أن صاحبَ هـذه الدعوةَ دعوات مشبـوهة في هذا العصر، بعضها يدعو إلى إعادة ترتيب القرآن الكريم على حسب النزول، وبعضها يدعو إلى كتـابته بـالحرف اللاتيني، وأخـرى ترى إعـادة ترتيبـة حسب الموضوعـات، وآخرون يرون اختصاره بحذف المكرر منه كما يزعمون.

إنها حلقات من سلسلة طـويلة، لمحاولات يائسـة للنيل من القرآن الكريم، وحسبنا أنها دعوات ولدت ميتة.

ومع تفهمنـا لمقصد الكثيرين ممـن يرون كتـابة المصحـف بالـرسم الحديث، واعتقادنا أنهم خارج دائرة الشبهات إلا أن الدعوة نفسها وما أحيط بها تستوجب الحذر، وتملي عليهم أنفسهم نظرة أوسع وأشمل، في ضـوء ما قيل، مما قـد ينال من القرآن الكريم.

إننا نميل إلى ما ذهب إليه العلماء قديما وحديثا، وإلى ما تبنته المجامع الفقهية واللغـويـة قـاطبـة من ضرورة المحـافظـة على رسم المصحف كما خطتـه أيـدي الصحابـة الكرام أول الأمـر، لا لأن هذا الـرسم صادر عن الشـارع الحكيم، ولا لأنه يتضمـن حكما وأسرارا، وليس تسترا على أخطاء الصحـابة الكـرام، أو منعا لمنـاقشـة رسمهم للمصحف؛ لأن كل ذلـك لم يكن، وإنما هـو لأجل الـواقع الكتـابي الـذي كتب القرآن في ضـوئه كما يكتب أي نص في أي عصر، في ضـوء الواقع الكتـابي السائد في ذلك العصر، دونما غرابة، أو إنكار مـن أحد، كما نرى في عصرنا، وهكـذا كان رسم المصحف، وهذه هي قصتـه فيما يبدو، والله أعلم بالصواب.

• • •



الهوامش

(١) سورة القمر آية ١٧ .
(٢) مثل كتابي المحكم والمقنع - لأبي عمرو الداني - وغيرهما .
(٣) باستثناء دراسة قيِّمة للأستاذ غانم الحمد، بعنوان رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، وهو في الأصل رسالة ماجستير، بذل فيها صاحبها جهداً ملحوظاً .
(٤) الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٢ للسيوطي .
(٥) سورة الأعراف، آية ١٤٥ .
(٦) سورة الأعراف، آية ١٥٤ .
(٧) كتاب المصاحف، ص ٧، ابن أبي داود .
(٨) رواه البخاري كتاب جمع القرآن، انظر فتح الباري ج ٩، ص ٢٢، ابن حجر .
(٩) لا خلاف بين العلماء أنه ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب حين بعث للناس، ولكن العلماء اختلفوا هل بقي ﷺ على أميته ؟ ذهب بعضهم إلى ذلك لتبقى الحجة قائمة، وذهب آخرون إلى أنه ما مات حتى قرأ وكتب، لمزيد من التفصيل انظر المدخل لدراسة القرآن ص ٣٤٩ فما بعدها د. محمد أبو شهبة، مناهل العرفان ج ١، ص ٣٥٧ فما بعدها، الزرقاني .
(١٠) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ١، ص ٥٧، والحاكم في المستدرك ج ٢، ص ٣٣٠، وصححه ووافقه الذهبي على ذلك وضعفه الأستاذ أحمد شاكر لوجود يزيد الفارسي في سنده .
(١١) كتاب المصاحف ص ١٢ ابن أبي داود .
(١٢) رواه البخاري كتاب جمع القرآن، انظر فتح الباري ج ٩، ص ١١ .
(١٣) فتح الباري ج ٩، ص ٢٠، ابن حجر .
(١٤) سر صناعة الأعراب ج ١، ص ٥٠، ابن يحيى .
(١٥) سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين ص ١٨ - علي الضباع .
(١٦) سورة الحجر، آية ٩ .
(١٧) أدب الكاتب ص ٢٤٧، ابن قتيبة .
(١٨) رسم المصحف ص ١٦٨ - غانم الحمد .
(١٩) رسم المصحف ص ٢٦٦ غانم الحمد .
(٢٠) سورة الإسراء آية ٧٣ .
(٢١) البرهان في علوم القرآن ج ١، ص ٣٧٦ .
(٢٢) كتاب الكتاب ص ٧، ابن درستويه .
(٢٣) البرهان ج ١، ص ٣٧٩ الزركشي، الإتقان ٤ : ١٤٦ - ١٤٧ السيوطي .



(٢٤) سمير الطالبين ص ٢٣ ، الضبَّاع .
(٢٥) سورة العلق، آية ٤ .
(٢٦) سورة القلم، آية ١ .
(٢٧) البرهان في علوم القرآن ج ١ ، ص ٣٧٧
(٢٨) الصاحبي في فقه اللغة ص ٧ ، ابن فارس .
(٢٩) المصدر السابق ص ١٠ ، البرهان في علوم القرآن ج ١ ، ص ٣٧٨ .
(٣٠) رسم المصحف ص ٢٠٣ - غانم الحمد .
(٣١) مناهل العرفان ج ١ ، ص ٣٧٥ - الزرقاني، المدخل لدراسة القرآن ص ٣٤٧ أبو شهبة .
(٣٢) موضوع وروى نحوه ابن الجوزي في الموضوعات ص ١٥ .
(٣٣) د . عبد العزيز الخياط - ملتقى الفكر الإسلامي الخامس عشر في الجزائر ١٤٠١هـ، ص ٦٢ .
(٣٤) سمير الطالبين ص ٢٤ ، الضباع .
(٣٥) سمير الطالبين ص ٢٣ - ٢٤ ، الضباع .
(٣٦) أطنب في ذكرها الزركشي في البرهان والسيوطي في الإتقان وغيرهما .
(٣٧) سورة العلق، آية ١٨ .
(٣٨) سورة الشورى، آية ٢٤ .
(٣٩) سورة الإسراء، آية ٨١ .
(٤٠) سورة الإسراء، آية ١١ .
(٤١) سورة القمر، آية ٦ .
(٤٢) انظر البرهان في علوم القرآن ج ١ ، ص ٣٩٧، وانظر الإتقان ج ٤ ص ١٥٠ فما بعدها .
(٤٣) سورة هود، آية ٤٦ .
(٤٤) سورة الكهف، آية ٧٠ .
(٤٥) البرهان، ج ١ ، ص ٣٩٩ - الزركشي .
(٤٦) من قوله تعالى ﴿**لأعذبنه عذابا شديداً أو لأاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين**﴾ النمل، آية ٢١ .
(٤٧) روح المعاني ج ١٩ ، ص ١٨٤ ، الألوسي .
(٤٨) سورة الرعد، آية ٣٩ .
(٤٩) سورة الكهف، آية ٦٤ .
(٥٠) سورة الزمر، آية ١٠ .
(٥١) البرهان ج ١ ، ص ٤٠٤ .
(٥٢) سمير الطالبين ص ٧١ ، الضباع .
(٥٣) المصدر السابق ، ص ٧٦ .
(٥٤) رسم المصحف ص ٢٣٠ .
(٥٥) مقدمة ابن خلدون ص ٧٥٧ .
(٥٦) سمير الطالبين ص ٢٤ ، الضباع .

(٥٧) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص ١٠٥، ص ١٧٩، البكري.
(٥٨) كتاب إيقاظ الأعلام لوجوب أتباع رسم المصحف الإمام ص ١٣ - حبيب الله الشنقيطي.
(٥٩) صحيح، أخرجه أبو داود ج ٤، ص ٢٨٠، صحيح سنن أبي داود، ج ٣ ص ٨٧١ - الألباني.
(٦٠) موضوع - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج ١، ص ١٤٤ - الألباني - مكتبة المعارف ط ١، الرياض ١٤١٢هـ.
(٦١) قرارات المجمع الفقهي في دورته الأولى ص ١٢٦ مكة المكرمة، سمير الطالبين ص ١٧، الضباع.
(٦٢) قرارات المجمع الفقهي في دورته الأولى ص ١٢٧ - مكة المكرمة.
(٦٣) سمير الطالبين ص ١٣، الضباع.
(٦٤) رسم المصحف ص ٢٢٣.
(٦٥) كتاب إيقاظ الأعلام ص ٣٠ - ٣١، الشنقيطي.
(٦٦) الإتقان في علوم القرآن ج ٤، ص ١٥٦، السيوطي.
(٦٧) الكشف عن وجوه القراءات ص ٣٢، مكي بن أبي طالب.
(٦٨) سورة القمر، آية ٥.
(٦٩) تأويل مختلف الحديث ص ٢٨٧، ابن قتيبة.
(٧٠) حياة اللغة العربية ص ٥٤، حنفي ناصف.
(٧١) للاطلاع عليها ينظر كتاب مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة د. محمد حميد الله.
(٧٢) فتوح البلدان ص ٤٧٧ - ٤٧٩، البلاذري.
(٧٣) فضائل القرآن ص ٥٢ - ٥٣، ابن كثير.
(٧٤) مقدمة ابن خلدون ص ٢٤٨.
(٧٥) سور طه، آية ٦٣.
(٧٦) سورة المائدة، آية ٦٩.
(٧٧) تأويل مشكل القرآن ص ٥٧، ابن قتيبة.
(٧٨) تأويل مختلف الحديث ص ٢٨٧، ابن قتيبة.
(٧٩) معاني القرآن ج ١، ص ٤٣٩، الفراء.
(٨٠) قرارات مجمع اللغة العربية الجلسة الثالثة ٢٦/١٢/١٩٤٩م، ص ٥٦.
(٨١) القراءات واللهجات ص ١١٠، عبد الوهاب حمودة.
(٨٢) سورة النساء، آية ١٦٢.
(٨٣) سورة المائدة، آية ٦٩.
(٨٤) كتاب المصاحف ص ٤٣، ابن أبي داود.
(٨٥) المصدر السابق: ص ٤١.
(٨٦) المقنع ص ١١٩، الإتقان في علوم القرآن ج ٢، ص ٢٧٠.





(٨٧) انظر : توجيهها في البحر المحيط ج ٦، ص ٢٥٠، ج ٣ ص ٣٩٦، ج ٣ ص ٥٣١ . على التوالي - أبو حيان.
(٨٨) رسم المصحف ص ٢١٩.
(٨٩) تاريخ القرآن ص ١٢٠، د. عبد الصبور شاهين.
(٩٠) انظر العربية : دراسة في اللغة واللهجات والأساليب ص ٢٣٦ فما بعدها، يوهان فك.
(٩١) لسان العرب، مادة لحن ج ١٣ ص ٣٧٩ فما بعدها، ابن منظور.
(٩٢) فضائل القرآن ص ١٢٦، ابن كثير.
(٩٣) المقنع ص ١١٩، أبو عمرو الداني.
(٩٤) الإتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٧٠.
(٩٥) مناهل العرفان ج ١ ص ٣٧٣ - ٣٧٤ باختصار، وانظر رأي الباقلاني مطولا في كتابة الانتصار للقرآن ج ١ ص ٣٧٥ فما بعدها، طبع بالتصوير عن مخطوطة، أصدره فؤاد سزكين.
(٩٦) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص ١٠٣، محمد طاهر الكردي، القراءات واللهجات ص ٢٩ د. حمودة.
(٩٧) مباحث في علوم القرآن ص ٢٧٩، د. صبحي الصالح.
(٩٨) البرهان في علوم القرآن ١٢٠ ص ٣٧٩، الزركشي.
(٩٩) رسم المصحف ص ١٠٢، غانم الحمد.
(١٠٠) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٣٦٥، د. أبو شهبة.
(١٠١) شرح العقيلة ص ٩، موسى جار الله، وملتقى الفكر الإسلامي الخامس عشر في الجزائر ١٤٠١هـ الأستاذ عبد الرحمن خليف ص ٧٢ فما بعدها.
(١٠٢) أصل الخط العربي ص ١، د. خليل نامي.
(١٠٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ج ٢ ص ٣٤٨، السيوطي.
(١٠٤) أصل الخط العربي ص ٤.
(١٠٥) مقدمة ابن خلدون ج ١، ص ٧٥٥.
(١٠٦) الكتابة العربية والسامية ص ١٢١، د. رمزي بعلبكي، رسم المصحف ص ٣٢، غانم الحمد.
(١٠٧) أصل الخط العربي ص٣، د. خليل نامي.
(١٠٨) يميل أهل الشأن إلى أن الأنباط ساميون كانت العربية لغة حياتهم اليومية، استقروا وتحضروا بعد تجوال كثير، وأسسوا مملكة عظيمة في القرنين الثاني والثالث قبل الميلاد واتخذوا الآرامية لغة كتابة لهم، انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٣ ص ٩، جواد علي.
(١٠٩) رسم المصحف ص ٤٩.
(١١٠) أصل الخط العربي ص٨٥، رسم المصحف ص ٧٣.
(١١١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ١ ص ١٨٩، جواد علي.
(١١٢) أصل الخط العربي ص٨٨، د. خليل نامي.
(١١٣) الكتابة العربية والسامية ص ١٧٩، د. رمزي بعلبكي.

(١١٤) علم اللغة العام ص ٢٣٥ ، كمال بشر.
(١١٥) رسم المصحف ص ٧٨، غانم الحمد.
(١١٦) اللغة ص ٤٠٧ ، فندريس.
(١١٧) انظر المصدر السابق : ص ٤٠٤ - ٤٠٥ .
(١١٨) انظر جامع الدروس العربية ج ٢ ص ١٣٥ ، مصطفى الغلاييني .
(١١٩) انظر جامع الدروس العربية ج ٢ ص ١٣٥ ، فما بعدها .
(١٢٠) الجمل، ص ٢٧٢ ، الزجاجي.
(١٢١) انظر جامع الدروس العربية ج ٢ ص ١٤٠ فما بعدها .
(١٢٢) المصدر السابق : ج ٢ ص ١٣٩ .
(١٢٣) اللغة ص ٤٠٩ ، فندريس.
(١٢٤) التيسير في القراءات السبع ص ١٦٠ ، أبو عمرو الداني.
(١٢٥) رسم المصحف ص ٣٠٢ ، غانم الحمد .
(١٢٦) غنم عبده في كتابه رسم المصحف ص ٣٠٧ .
(١٢٧) سورة الأنبياء من آية ٥٧ .
(١٢٨) سورة الأعراف من آية ١١٣ .
(١٢٩) سورة التوبة من آية ٤٧ .
(١٣٠) سورة النمل من آية ٢١ .
(١٣١) سورة الصافات من آية ٦٨ .
(١٣٢) معاني القرآن ج ١ ص ٤٣٩ ، الفراء.
(١٣٣) روح المعاني ج ١٩ ، ص ١٨٤ ، الألوسي.
(١٣٤) المحكم في نقط المصاحف ص ١٧٧ ، الداني.
(١٣٥) الكشاف ج ٢ ص ٢١٧ ، الزمخشري.
(١٣٦) رسم المصحف ص ٢٨٠ ، غانم الحمد.
(١٣٧) انظر تفسير التحرير والتنوير ج ١٠ ص ٢١٧ ، الطاهر بن عاشور.
(١٣٨) سر صناعة الإعراب ج ١ ص ١٩ ، ابن جني.
(١٣٩) أو كلمة الأذدين كما يراها د. رمزي بعلبكي، الكتابة العربية السامية ص ١٢٣ .
(١٤٠) انظر صورة النقش ص ٧٥٨ رسم المصحف، غانم الحمد.
(١٤١) رسم المصحف ص ٤١٠ - ٤١٢ بتصرف .
(١٤٢) رسم المحف ص ٢٩٧ ، غانم الحمد.
(١٤٣) المقنع ص ٣٦، الداني.
(١٤٤) رسم المصحف ص ٢٩٩ .
(١٤٥) سورة الإسراء، آية ١١ .
(١٤٦) سورة الشورى، آية ٢٤ .



(١٤٧) سورة القمر، آية ٦ .
(١٤٨) سورة العلق، آية ١٧ .
(١٤٩) يراجع البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٧٧، للوقوف على الحكم والأسرار التي بدت لبعض العلماء.
(١٥٠) تهذيب اللغة ج ١ ص ٢٧٧، الأزهري، معاني القرآن ج ٢ ص ١١٧، الفراء.
(١٥١) المحكم ص ١٥٨، الداني.
(١٥٢) كتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٧٦.
(١٥٣) رسم المصحف ص ٣٠٠، غانم الحمد.
(١٥٤) سورة الرعد، آية ٣٩ .
(١٥٥) سورة الممتحنة، آية ٦ .
(١٥٦) سورة النور، آية ٥٦ .
(١٥٧) سورة البقرة، آية ٩٦ .
(١٥٨) سورة البقرة، آية ٢٧٥ .
(١٥٩) كتاب الكتاب ص ٤٩، ابن درستويه.
(١٦٠) أدب الكاتب ص ٣٣٢.
(١٦١) رسم المصحف ص ٣٣٢.
(١٦٢) الكتابة العربية والسامية ص ١٣٢ - ١٣٣، د. رمزي، أصل الخط العربي ص ٦٧.
(١٦٣) وتضمن نص عربي قديم يرجع تاريخه إلى ٥١٢م بعض الأعلام التي كتبت بالواو، مثل شريحو أي سريح سعدو أي سعد، سترو، انظر دراسة نقش زبد في كتاب الكتابة العربية والسامية ص ١٤٨ - ١٥١، وما زالت العربية تحتفظ إلى اليوم بواو عمرو المصدر السابق ص ١٧٦.
(١٦٤) رسم المصحف ص ٣٣٧.
(١٦٥) سورة الأنعام، آية ٩٢ .
(١٦٦) سورة النور، آية ٤١ .
(١٦٧) سورة التوبة، آية ١٠٣ .
(١٦٨) أصل الخط العربي ص ١٠١، د. خليل نامي، دراسات في تاريخ الخط العربي ص ٢٢.
(١٦٩) الكتابة العربية والسامية ص ١٧٧.
(١٧٠) المقتضب ج ١ ص ٦٣، المبرد.
(١٧١) أعاد. د. شوقي ضيف نحو البصرة إلى ابن أبي إسحاق المتوفى سنة ١١٧هـ، وأعاد نحو الكوفة إلى الكسائي المتوفى سنة ١٨٩هـ، انظر كتابه المدارس النحوية ص ١٨، ص ١٥٤.

أهم مراجع البحث

١ - الإتقان في علوم القرآن - أبو بكر جلال الدين السيوطي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار التراث، ط ١، القاهرة.

٢ - أدب الكاتب أبو عبد الله محمد بن قتيبة، ت محمد الدالي، ط مؤسسة الرسالة - بيروت ط ١، ١٤٠٢هـ.

٣ - أصل الخط العربي - د. خليل يحي نامي، ط بول باريه - القاهرة، ط ١.

٤ - الانتصار للقرآن - أبو بكر محمد الباقلاني - نسخة بالتصوير عن مخطوطة أصدرها د. فؤاد سزكين - منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية بألمانيا.

٥ - إيقاظ الأعلام بوجوب اتباع رسم المصحف الإمام - محمد حبيب الله الشنقيطي، دار الرائد العربي - بيروت ط ٢، ١٤٠٢هـ.

٦ - البحر المحيط - أبو حيان محمد بن يوسف - مكتبة النصر الرياض، ط ١.

٧ - البرهان في علوم القرآن - بدر الدين محمد الزركشي - ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ط ١.

٨ - تاريخ القرآن د. عبد الصبور شاهين، ط دار القلم - القاهرة.

٩ - تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه - محمد طاهر الكردي - مطبعة الفتح، جدة ط ١، ١٣٦٥هـ.

١٠ - تأويل مختلف الحديث - أبو محمد عبد الله بن قتيبة - . صححه وضبطه محمد النجار - دار الجيل، بيروت ط ١، ١٣٩٣هـ.

١١ - تأويل مشكل القرآن - أبو محمد عبد الله بن قتيبة، ت أحمد صقر دار التراث - القاهرة ط ٣، ١٣٩٣هـ.

١٢ - التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر، ط ١، ١٤٠٢هـ.

١٣ - تهذيب اللغة - أبو منصور محمد الأزهري، ت عبد السلام هارون، ط، الدار المصرية للتأليف - القاهرة.

١٤ - التيسير في القراءات السبع - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني - ط مطبعة عزيز دكن - حيدر آباد.

١٥ - جامع الدروس العربية - مصطفى الغلاييني - راجعه ونقحه الدكتور عبد المنعم خفاجه - ط. المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ط ١، ١٤٠٨هـ.

١٦ - الجمل في النحو - أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي، ت د. علي الحمد، ط مؤسسة الرسالة، ط ٣ بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٧ - حياة اللغة العربية - حنفي ناصف - ط. جامعة القاهرة، ط ١، ١٣٧٨هـ.

١٨ - دراسات في تاريخ الخط العربي - د صلاح الدين المنجد - ط. دار الكتاب الجديد ط، بيروت ١٣٩٢هـ.

١٩ - رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية - غانم قدوري الحمد - منشورات اللجنة الوطنية - بغداد ط ١، ١٤٠٢هـ.

٢٠ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - أبو الفضل الألوسي - دار التراث - القاهرة.
٢١ - سر صناعة الأعراب - أبو الفتح عثمان بن جني، ت لجنة من الأساتذة - ط، مصطفى البابي ط ١، ١٣٧٤هـ.
٢٢ - سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين - ملتزم الطبع والنشر - عبد الحميد حنفي، ط ١، مصر.
٢٣ - سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث، ت محي الدين عبد الحميد، ط، مطبعة السعادة - مصر.
٢٤ - شرح العقيلة - موسى جار الله، ط قازان - روسيا ط ١، ١٣٢٦هـ.
٢٥ - الصاحبي في فقه اللغة - أحمد بن فارس - المكتبة السلفية - القاهرة، ١٣٢٨هـ.
٢٦ - العربية . . دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. د. يوهان فك، ترجمه وقدم له د. رمضان عبد التواب الناشر مكتبة الخانجي - مصر، ١٤٠٠هـ.
٢٧ - علم اللغة العام. د. كمال بشر - دار المعارف مصر، ١٣٩٣هـ.
٢٨ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني - نشر إدارات البحوث العلمية والافتاء - الرياض.
٢٩ - فتوح البلدان - أحمد بن جابر البلاذري، ط، شركة طبع الكتب العربية، ط ١.
٣٠ - فضائل القرآن - أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ت سعيد محمود، ط دار الحديث، القاهرة ط ١.
٣١ - القراءات واللهجات د. عبد الوهاب حمودة، ط مكتبة النهضة المصرية، ط ١ - القاهرة.
٣٢ - قرارات المجمع الفقهي في دورته الأولى - مكة ١٣٨٩هـ.
٣٣ - كتاب سيبويه، ط المطبعة الكبرى - القاهرة ١٣١٧هـ.
٣٤ - كتاب الكتاب - أبو محمد بن درستويه، ت إبراهيم السامرائي، وعبد المحسن الفتلي - ط مؤسسة دار الكتب الثقافية ط ١ - الكويت.
٣٥ - كتاب المصاحف - أبو بكر عبد الله بن أبي داود، ط دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٦ - الكتابة العربية والسامية، د. رمزي بعلبكي، ط دار العلم للملايين. بيروت ط ١ - ١٣٩٣هـ.
٣٧ - لسان العرب - ابن منظور - دار صادر، بيروت.
٣٨ - اللغة ج فندريس - تعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، الناشر الأنجلو المصرية، ط لجنة البيان العربي.
٣٩ - مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ط دار العلم للملايين ط ٧ - بيروت.
٤٠ - المحكم في نقط المصاحف - أبو عمرو الداني ت د. عزه حسن، ط مديرية إحياء التراث القديم - دمشق.
٤١ - المدخل لدراسة القرآن الكريم - د. محمد أبو شهبة، ط دار اللواء ط ٣ - الرياض، ١٤٠٧هـ.
٤٢ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د جواد علي، ط دار العلم للملايين ١٤ - بيروت.
٤٣ - مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن - ت د. علي عبد الواحد وافي، ط لجنة البيان العربي ط ١ القاهرة.
٤٤ - المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، ت محمد صادق قمحاوي، ط مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.
٤٥ - ملتقى الفكر الإسلامي الخامس عشر في الجزائر ١٤٠١هـ.
٤٦ - الموضوعات - أبو الفرج ابن الجوزي، ط مكتبة ابن تيمية ط ١، سنة ١٣٨٨هـ.

